Fax : 0522-787310
MAJALLAH RNI No.(U.P. ARA/2000/2341)
Regd. No. LW-NP/64/2001
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-8) June 2001 (Monthly)

عدر حديثاً :

من تُراث العلاَّمة النَّدوي

جمع وإعداد : سيد عبد الماجد الغوري

سلسلة رائعة من مجموعات محاضرات ومقالات العلاَّمة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في موضوعات مختلفة ، صدر منها :

١ ـ دراسات في إعجاز القرآن .
٢ ـ مقالات حول السيرة النبوية .
٣ ـ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة (٣ أجزاء) .
٤ ـ مقالات إسلامية في الفكر والدعوة (٣ أجزاء) .
٥ ـ مقالات وبحوث حول التعليم والتربية الإسلامية .
٦ ـ مقالات حول أعلام المسلمين ومشاهيرهم .
٧ ـ أبحاث حول الاستشراق والمستشرقين .

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

Printed and Published by AT HAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parekh Offset Press, Tagore Marg, Lucknow. U.P.

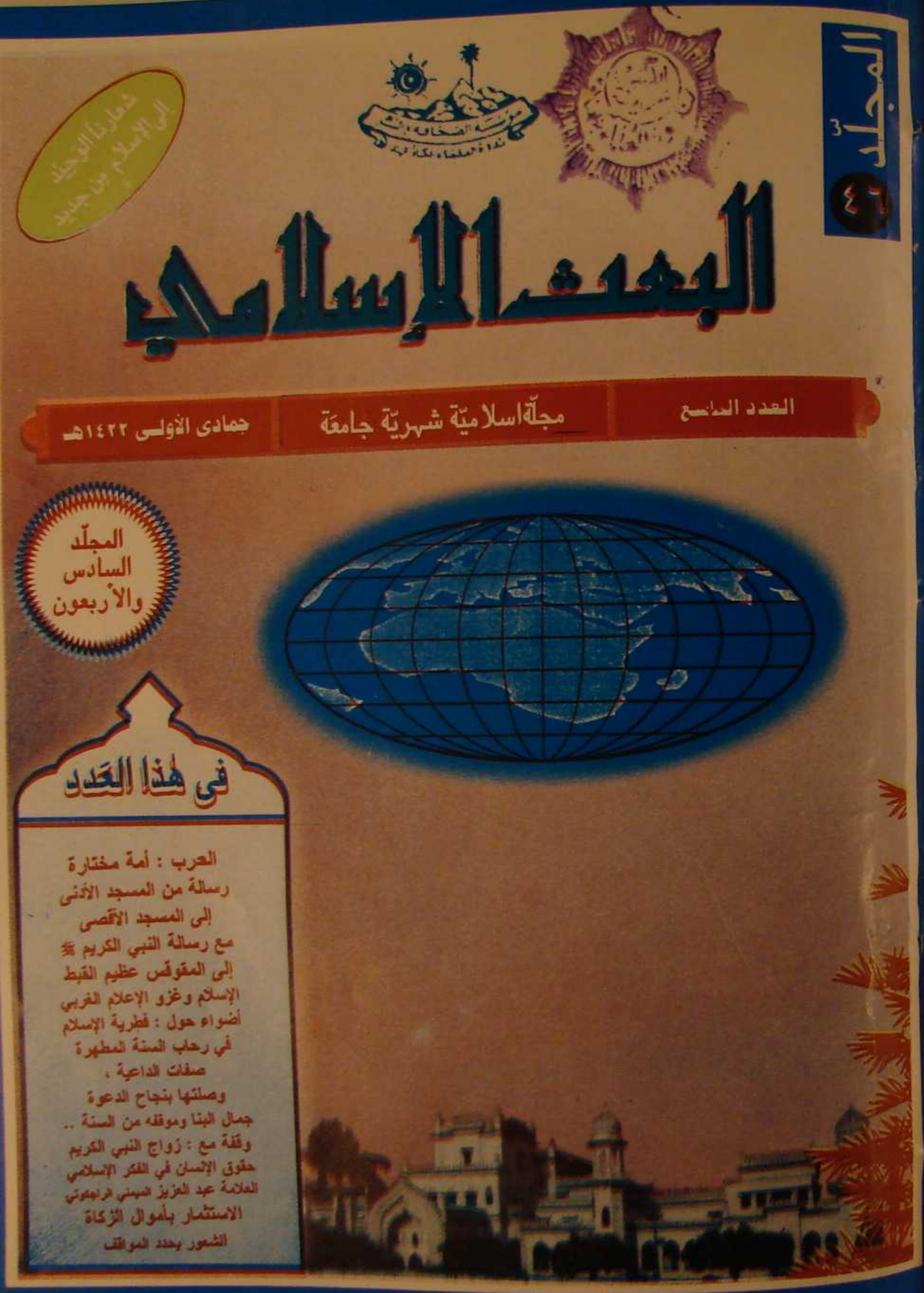

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

المجلد السادس والأربعون

العدد التاسع

جمادى الأولى ١٤٢٢هـ

يوليو ٢٠٠١م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد

في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين

زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد

في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم

واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جِدته وحياته

ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة

هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة

من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار :

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ - لكناؤ

الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.o. Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

وبعد ! فأحمد اللّه سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من اللّه سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق اللّه ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

واللّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند :

مأتا روبية ٢٠٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٠/روبية

في العالم العربي

و في جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و

٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم : "البعث الإسلامي"

(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o. NADWATUL-ULAMA

P.O. Box : 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

سماحة العلامة الشيخ
★ العرب : أمة مختارة — السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) — ٣

الافتتاحية :

★ الإسلام وغزو الإعلام الغربي — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي :

★ رسالة من المسجد الأدنى إلى المسجد الأقصى — د/عبد الحليم عويس — ٨
★ مع رسالة النبي الكريم ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط — الأستاذ عبد السلام سعيد كريم — ١١
★ أضواء حول : فطرية الإسلام — د/أحمد عبد الرحيم السايح — ٢٢

الدعوة الإسلامية :

★ في رحاب السنة المطهرة — د/محمد بن سعد الشويعر — ٣٣
★ صفات الداعية ، وصلتها بنجاح الدعوة — الأستاذ محمد رشيد زاهد — ١٥

دراسات في السنة :

★ جمال البنا وموقفه من السنة ، من خلال كتابه : "السنة ودورها في الفقه الجديد" — د/محمد أبو الليث الخيرآبادي - ٥٤

دراسات و أبحاث :

★ وقفة مع : زواج النبي الكريم بأمهات المسلمين — د/محمد السيد علي بلاسي — ٦٣
★ حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر بين الخصوصية والعالمية — د/رضوان السيد — ٧٢

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

★ العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي .. — السيد عبد الماجد الغوري — ٤٧

الفقه الإسلامي :

★ الاستثمار بأموال الزكاة ، وأقسام تمليك الزكاة — الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي — ٨٧

صور و أوضاع :

★ الشعور يحدد المواقف — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٣

إصدارات حديثة :

★ ١- أمة وسط — التحرير — ٩٨
★ ٢- لبيك اللهم لبيك — - - - — ٩٩

إلى رحمة الله تعالى :

★ الشيخ ولي أعظم الندوي - في ذمة الله تعالى - — التحرير — ٩٩
★ الشيخ الأستاذ قطب الله الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامة الندوي (رحمه الله) يقول :

العرب : أمة مختارة

"إن عقيدتي وديني الذي أومن به وأدين يفرض علي أن أكون صادقاً وصريحاً ، وصلتي بهذه الأمة – الدينية والثقافية – تلزمني بالصدق والصراحة والوفاء والأمانة ، ثم اقتناعي بأن العرب : الأمة المختارة لحمل رسالة الإسلام ، قد كُتبت لهم الوصاية على العالم ، ما داموا يدينون بهذا الدين الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم ، و علمي بأن هذه الوصاية لم تحول عنهم بعد ، ولم تبرز أمة على منصة العالم تخلف هذه الأمة ، و تضطلع بالأمانة ، ولكني أعرف أن الزمان زمان تحول ، والساعة ساعة الانتقال ، كالساعة التي شهد فيها العالم أكبر تحول في التاريخ و في جذور الأمم ، ساعة مرت في منتصف القرن السادس المسيحي تحولت فيها الإمامة ، وتحول فيها منصب الهداية من بني إسرائيل (الأذكياء المثقفين أصحاب الحضارة والعلوم والقرائح والمواهب) إلى (العرب) الأمة التي تغلبت عليها الأمية والبساطة ، والفقر والاعتزال عن العالم – والله أعلم حيث يجعل رسالته – فكان أكبر تحول شهده التاريخ الجديد ، وكان لهذا الحادث تأثير في مصير الأمم ، وأوضاع العالم ، واتجاه الإنسانية ، لم يكن لحادث سياسي ، وتحول اجتماعي ، أو ثورة أخرى" .

سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

★★★

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

الإسلام وغزو الإعلام الغربي

أخطر غزاة الإعلام الغربي أساليب مدهشة ، قد لا تخطر على بال إنسان ، محاولين بها القضاء المحتوم على الإسلام – فيما زعموا – ومن خلال ذلك قصص وروايات وضعوها على أسس خيالية لا تمت إلى الواقع بأيّ صلة ، ولم يكن القصد من وراء ذلك إلا إشباع غليل الانتقام من رسالة الإسلام ، وبالتالي تضليل الشعوب العائشة في مختلف أنحاء العالم ، بأن الإسلام قد أوشك على النهاية الأخيرة ، وسوف يتجلى زيفه وبطلانه على العالم كله ، وستكشف له الحقيقة كالشمس في رابعة النهار .

ومن جملة ما قام به أعداء الإسلام من دسّ السموم الناقعة ما فعله المستشرقون في أيامهم الأولى ، ولم يتركوا مظنة من مظانّ التحريف ، و الاختلاق في الكتب الأساسية للإسلام في غضون تفسير الآيات ، و شرح الأحاديث النبوية الشريفة إلا وانتهزوها كفرصة لتوجيه التهم والأضاليل إلى منهج الحياة الذي أنقذ الحياة الإنسانية من التردي ، وأبقى على الإنسانية التي كانت تلفظ نفسها الأخير قبل أن يبعث الله رسوله محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، رحمة للعالمين في القرن السابع الميلادي .

هناك قصة لرواية تتضمن مشروعاً خيالياً لهدم الإسلام ، وتدمير الحرمين الشريفين – لا قدر الله – نُشرت باسم : شركة النشر والطباعة المعروفة بـ (Disco Gharnad Publishing Co.) ، و لا شك أنها شركة يهودية

خالصة ، وملخص هذه الرواية (١) ، كما يأتي :

"إن زعماء خمسة بلدان معادية للإسلام ، وهي : روسيا ، بريطانيا ، فرنسا ، الولايات المتحدة ، وإسرائيل ، وضعوا خطة سرّية لاقتلاع جذور الإسلام ، والقضاء عليه نهائياً – على ما زعموا – وتحقيقاً لهذا المشروع اتفقوا على إعداد خمس طائرات عسكرية من نوع "هركولس" (Hercules) في جزيرة "قبرص" (Cyprus) ، حيث تُركّب في هذه الطائرات قنابل ذرية بصناعة خاصة ، أضف إلى ذلك خمسة كيستس (Cassetes) (شريطات مسجّلة) تشمل إعلاناً خاصاً بلغة عربية يذيعه القسم العربي للإذاعة البريطانية (BBC) ، يقول : "الله أكبر الله أكبر ، أنا عليّ ، وقد نزلت كظلّ للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، أنا المهدي الموعود ، أيها العباد المذنبون في العالم (ويشير إلى المسلمين) إن الله سبحانه وتعالى ، قد غضب عليكم أشدّ الغضب جزاء ما شوّهتموه من صورة الإسلام ، واتخذتم الله تعالى والإسلام هزواً ، استحوذت عليكم الدنيا ، و استولى عليكم الطمع ، فوقعتم فريسة الشرك ، وضيق القلب ، ولذلك فإن الله تعالى قد أصدر قضاءه لعقابكم الشديد .

وبعد ذلك يتوجه الخطاب إلى الطيارين الموجودين في هذه الطائرات الخمس ، ويقول إنكم أيها الطيارون المخلصون أولئك السعداء الذين يتوجهون إلى مهمة عظيمة تتولى تثبيت دعائم الحضارة الأوربية ، و تدمير قوة وحشية ظالمة ، و هي قوة الإسلام ، تدميراً نهائياً ، وسيسجل التاريخ أسماءكم كأبطال الغرب الذين خلّدهم الزمان .

و تطير هذه الطائرات في أيام الحج يوم الجمعة المبارك من جزيرة "قبرص" خارقة أجواء جمهورية مصر إلى شرم الشيخ حتى تدخل حدود

---

(١) نقلنا هذه الرواية من جريدة "الهلال" الأسبوعية ، التي تصدر من إسلام آباد (باكستان) من عددها الصادر بتاريخ ٤–١٠/من مايو ٢٠٠١م .

المملكة العربية السعودية ، وتمر بجنوب مدينة "تبوك" ، حتى تصل إلى ساحل على بحيرة قلزم ، و تهبط على الساحل حيث يتمّ التفتيش عن القنابل الذرية المركبة فيها و تنشيطها ، و مع ذلك تستأنف هي الطيران ، نحو الهدف المنشود ، وفور ما يتأكد الطيارون أن هذه الطائرات الحربية المحملة بالقنابل الذرية متجهة نحو الهدف يركّبون فيها ماكينة طيارات تلقائية (آتو يائلت) (Auto Pilot) ، ويزودونها بالتعليمات ويقفزون من داخل الطائرات بواسطة المظلات الهابطة (Parachutse) ، وينزلون فوق السفينة البريطانوية الموجودة في بحر قلزم ، و تستمر الطائرات الخمس في الطيران ، نحو مكة المكرمة ، حيث يوجد اثنان من عملاء "موساد" (المنظمة السرية لإسرائيل) ، وهما يتوليان توجيه الطائرات إلى حرم الكعبة المشرفة ، فتُحلق فوق الحرم و هنالك يُذاع ذلك الإعلان المسجل من القسم العربي للإذاعة البريطانية الذي ذكرناه آنفاً ، وما هي إلا لحظات قليلة إذ ينتهي صوت الإعلان ، وتنفصل ماكينات الطائرات الحربية الخمس بطريق "ريموت" (Remote) ، و تتساقط على الحرم ، وتتفجر فور ذلك جميع القنابل الذرية وتسبب تدميرات هائلة ، ويذهب عدد كبير من ضيوف الرحمن الموجودين في المنطقة ضحية الانفجارات الهائلة ، لا يقل هذا العدد من نصف مليون حاج ، أما الباقون وهم مليونان ونصف يصابون بجراحات بالغة تعجزهم عن الحركة والنشاط ، و يستولى على المسلمين في العالم كله خوف مدهش يُلجئهم إلى الإقرار بأن هذا الحادث لم يكن إلا مظهراً لغضب إلهي ، لا يُرجى بعد ذلك أن تقوم للإسلام والمسلمين قائمة".

إن هذا نموذج للتخطيطات الإعلامية العالمية التي تتولاها اليهودية العالمية في خفاء وسرية للقضاء البات على الإسلام والمسلمين – فيما زعموا – فيه مؤشر واضح إلى أن هذا الإعلام الغربي المزور مكبّ على إعداد الوسائل الكافية لتدمير مركز الإسلام "حرسه الله و حماه" وإبادة المسلمين جميعاً ، مهما كلّف تحقيق هذه الأمنية "الخبيثة" من أثمان باهظة .

من خلال هذا التخطيط المتخيل إلى الآن ، نستطيع أن نقدر مدى ما بلغ إليه أعداء الإسلام من عداوة شديدة و كراهية حاقدة ، تتخطى جميع الحدود ضد إسلامنا ، الذي هو الرسالة الأخيرة الدائمة لبناء الحياة والإنسان ، و منح السعادة و الاطمئنان للمجتمع البشري في كل عصر وجيل ، و لكنه هو الحقد الأسود الذي ران على قلوب هؤلآء المناوئين للإسلام ، و أعمى أبصارهم عن رؤية الحقائق المتجلية في كل مكان ، وعلى جميع المستويات .

ومن ثم تتضاعف مسئولية الإعلام الإسلامي في رد مكائد الأعداء في نحورهم ، والتمييز بين ما يُصدرونه من مؤامرات ودسائس ، نحو العالم الإسلامي ، ومن سموم مغلّفة بالسكر والعسل ، وتتوسع مساحة هذه المسئولية في حين يوجه إلينا العدو تهديدات صارخة للإبادة والتدمير ، و يعبث بقِيَمنا وحرماتنا ويوجه السلاح والرصاص إلى صدور إخواننا ، ويطلق أفواه المدفعيات والأسلحة التلقائية ، و القنابل السامة نحو شبابنا و إخواننا في فلسطين حيث يفترسهم العدو ، و يسلط عليهم حرباً من غير إعلان ، و يتجاوز جميع حدود الإنسانية ، و يبلغ في الضراوة و السبعية إلى آخر مبلغ يتصوره العقل البشري .

لو لا أن الله سبحانه وتعالى كان قد أعلن بإكمال هذا الدين بطريق خالد ، وأخذ مسئولية حفظه وصيانته على نفسه لَما أمكن أن يصمد هذا الدين ، وأهله في وجه هذه الإعدادات الهائلة ، والتخطيطات الضخمة ، والجهود المتتابعة التي يقوم بها العدو اللدود ، لكن الله سبحانه وتعالى هو القائل في كتابه العظيم : ﴿ إنَّا نحنُ نزَّلنَا الذِّكر * وإنَّا لَهُ لحافظُون ﴾ و يقول :

﴿ لا يأتيه الباطلُ من بين يَدَيْه * ولا من خلفه * تنزيلٌ مّنْ حكيمٍ حميدٍ ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

رسالة :

من المسجد الأدنى إلى المسجد الأقصى

بقلم : الدكتور عبد الحليم عوس
(مفكر إسلامي - جمهورية مصر العربية)

أخي الأكبر الأعز والأبعد مكاناً ومكانةً : المسجد الأقصى :

= السلام عليك ورحمة الله و بركاته من أخيك الأدنى والأقرب والمبثوث في كل شارع من شوارع العالم الإسلامي ، وغير الإسلامي ... من كل المساجد الإسلامية ..

سلام عليك من مساجد الشيشان ، والبوسنة والهرسك ، وكشمير والفلبين ، وبورما والصين ، وغيرها من المساجد التي تعيش قريباً مما تعيش أنت فيه ، يحيط بها الرعب ، ويراقبها الأعداء ، ويطلقون على المترددين عليها أوصاف الأصولية والإرهاب والتطرّف .

سلام عليك يا أخي الأكبر والأقصى ، من أخيك الشهيد "المسجد البابري" في الهند الذي تحول إلى معبد وثنى تحت راية حكومة تزعم العلمانية والديمقراطية ، لكنها فيما يتصل بحقوق المسلمين تتجاهل عن عمد كل ذلك .

سلام عليك من المساجد التي صودرت أوقافها ، والتي أغلقت أبوابها ، فلا تُفتح إلا لدقائق معدودات حيث تقام الصلوات ، وقد لا يسمح إلا بقليل من الذكر وتلاوة القرآن الكريم .

سلام عليك من المساجد التي حرمت من الدروس الإسلامية ،

وخلت من بقية وظائف المسجد المعروفة في تاريخ المسلمين ، فأصبحت كأنها معابد لا تربية فيها ، ولا تعليم ، ولا تثقيف فيها ، ولا تهذيب ، فساد الفراغ بلاد المسلمين ، والتهمهم الإعلام المفشوش ، والتعليم الخالي من القلب والروح والضمير .

سلام عليك من مسجد (أياصوفيا) رمز الفتح العظيم ، والنصر الكبير بعد أن تحول إلى متحف تحرم فيه الصلوات ، ويدخله الفساق والعاريات ينظرون إليه على أنه قصر ومعمار ، وليس على أنه بيت من بيوت الله العزيز الغفار ... ولعن الله الكمالية الأتاتوركية اليهودية !!

وسلام عليك من آلاف المساجد التي مُنِعَتْ فيها الصلوات بدعوى أنها مساجد أثرية ، كما فعلت الحكومات الهندية والصّينيّة !!

يا مسجدنا الأقصى :

أيها الأخ الأكبر الجريح المحاصر .. يا واحداً من رموزنا الثلاثة الكبيرة .

يا ثالث الحرمين ! و يا أولى القبلتين ! ويأمن تُشَدّ الرحال إليك مع شقيقيك الكبيرين .. الحرام والنبوي الشريفين .

قلوبنا معك ، ودعاؤنا لك أن يفرج الله كربنا وكربك ، وأن يزول الحصار المضروب علينا وعليك ، مهما اختلفت الأشكال ، وتباينت الشعارات ، فالكفر والنفاق ملة واحدة ، وقد اجتمعا أشد ما يكون الاجتماع ، وتعاونا أكبر ما يكون التعاون ، فالمنافقون هنا يقومون بتفريغ كل مسجد من محتواه ، وبتحويله عن رسالته ، وبقائه أثراً محدود الفاعلية ، والكفار عندك ، يريدون القضاء عليك ، وبناء هيكل فوقك ، كما بني الوثنيون في الهند فوشطيقنا المسجد البابري الشهيد معبداً من معابد آلهتهم الأسطورية !!

إن الغارة عامة ، و البلية طامة ، و المسيح الدجال يقود الحرب

على الإسلام برموزه من شياطين الإنس و الجن ، معتمداً على جناحيه الكبيرين : المنافقين في الداخل ، والكفار في الخارج !!

يا مسجدنا الأقصى :

إن بعض المثقفين المحسوبين على الإسلام يؤيدون الركوع والسجود للأعداء ، و وصم الجهاد بأنه عنف وإرهاب ، ويطالبون الأمة بالتطبيع الذليل ، ويعلنون أن المعارك مع اليهود ، قد انتهت ، فلا معارك بعد اليوم ، مهما فعل اليهود بنا، مع أنه ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، ومن مات ولم يَغْزُ، و لم يُحدّث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق .. كما يعلمنا ديننا العظيم !!

وهكذا يقول الخطباء من فوق منابرنا ، ومن فوق منبرك ، يا أخانا المسجد الأقصى .. يا أخانا الأكبر !!

والجميع يسمعون هذه الأحاديث ، لكنهم ينادون من مكان بعيد ، وكأنهم لا يملكون قلوباً يفقهون بها ، ولا آذاناً يسمعون بها ، فقد عميتْ منهم القلوب التي في الصدور ..!!

يا أخانا الأعزّ والأبعد مكاناً ومكانةً :

لكم تحدّث الخطباء والوعاظ عن الثقة في الله والأمل فيه ، وأن اليأس قرين وشقيق للكفر ، فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، ولهذا سنظلّ معك صامدين مؤمنين برب العالمين ، ننتظر ذلك اليوم الذي يظهر فيه صلاح الدين ليقاتل فيه المسلمون اليهود ، ولينطق الحجر والشجر قائلين : يا عبد الله ! يا مسلم ، هذا يهوديّ ورائي فاقتله ، وما ذلك ببعيد ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

* * *

مع رسالة النبي الكريم ﷺ
إلى المقوقس عظيم القبط

(١)

بقلم : الأستاذ عبد السلام سعيد كريم
كلية الدراسات الإسلامية والعربية (للبنين) القاهرة - جامعة الأزهر

تقديم على عالمية الإسلام :

إن الإسلام دين سماوي عالمي ، له قدرة المسايرة الكاملة مع العصور الحديثة بحلول مشاكلها المتجددة مهما تعسرت الظروف و تفاقمت الأمور ، وبه ختمت الأديان السابقة ، فلا شريعة ولا دين بعده ، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ ماكان محمد أبا أحدٍ مّن رّجالكُم * ولكن رّسول الله * وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب/٣٣]، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "أنا خاتم النبيين ، ولا نبي بعدي" .

و قد شبه الله تعالى رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم في رسالته ، ومهام دعوته بالسراج المنير - أي : الشمس المشرقة - ، فكما أن الشمس تستوي على كبد السماء بحيث تضمحل سائر الأنوار والمصابيح أمام ضيائها الفياض تنير كل ذرات العالم أكبرها وأصغرها ، فكذلك الدين العالمي الخاتم لما ظهر عمّ و أنار و شمل و كمل ، فالإسلام ليس لدولة دون دولة ، أو منطقة دون منطقة ، أولطبقة دون طبقة ، ولا هو محدود لزمان دون زمان ، لا يحصره سقف محدود ، ولا تقصره دائره محيطة ، و هو كالشمس ، بل أفضل من الشمس ، وأجل منها مكانة ، وفائدة حيث لا يكسف ولا يغرب ، و لا يعتري دونه السحاب الداكن ، وللشمس غروب وأفول ، كما لها كسوف ، وسقوط يوم قيام الساعة .

انطلاق الدعوة الإسلامية من العرب إلى غيره تطبيقاً للعالمية :

بهذا المبدأ الأساسي الدعوي ، فقد بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد رجوعه من صلح الحديبية التاريخي في السنة السادسة من الهجرة إلى المدينة المنورة رسائل الدعوة إلى ملوك العالم ، ورؤساء الدول والقبائل وأمرائها إعلاناً للعالم أجمع برسالته العامة دعاهم إلى الإسلام السمحة ، موقعاً عليها بخاتم اتخذه ، و نقش فيه : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه) ، و قد تشرف الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بتحمل أمانة الرسالة النبوية ، وتودية الأعباء الدعوية كسفير للرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم إلى عظيم القبط والي مصر، هذا هو نص الرسالة :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت ، فإنما عليك إثم القبط : ﴿ يا أهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * أن لاَّ نعبُد إلا الله * و لا نشرك به شيئاً * ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله * فإن تولّوا * فقولوا : اشهدوا بأنّا مُسلمُون ﴾ (١) .

وقفات متأنية مع أجزاء الرسالة وأسلوبها الدعوي :

إن الرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم بدأ كتابه : ببسم الله الرحمن الرحيم طبقاً لرسائل الأنبياء الموجهة إلى القوم مثل رسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس ، هدف الدعوة والترشيد إلى عقيدة الألوهية المتصفة

(١) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة لمحمد فريد وجدي ، جريدة الأهرام ، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري : ص/٣٢٢ ، هذا النص أورده ابن القيم في زاد المعاد : ج/٣ ، ص/٦١ .

بصفات الرحمن و الرحيم ، أو تبركا وتيمنا بالبسلمة ، كما قال صلّى الله عليه وسلّم : "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع" (١) .

من محمد عبد الله ورسوله :

قد كتب الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم عنوانه في فتح الرسلة "من محمد عبد الله ورسوله" ، وذلك إعلاماً للناس بأن اسم الرسول المبعوث إلى كافة الخلق ، هو : محمد صلّى الله عليه وسلّم مع ما فيه من مراعاة أدب الكتابة إلى الغير أن يكتب اسم المرسل ، ثم صرح صلّى الله عليه وسلّم بأنه عبد الله ورسوله ، محاربة لعقيدة النصارى تجاه نبيهم عيسى بن مريم أنه ابن الله أو ثالث ثلاثة ، ومكافحة لعقيدة اليهود تجاه نبيهم عزير عليه السلام أنه ابن الله ، و إن الأنبياء ليسوا أبناء الله ، بل هم كلهم عباد الله ، و صفوة خلقه ، وقدوتهم ، و أن العبودية هي صفة عالية فائقة ، و مرتبة الشرف الأولى للأنبياء ، ثم الأقرب فالأقرب ، كما قال العلماء ، وقد ذكر الله رسوله بهذه الصفة العالية في آية الإسراء : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ ، فإن الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم عبد الله الكامل ، فلا يتصور العبادة والإنابة ، والتضرع والخشوع منه إلا لله عزّوجل ، وإنه رسول الله خاتم الأنبياء أفضل المرسلين ، فلا يدعو الناس إلا إلى دين الله ، والتمسك بكتاب الله تعالى في السر والعلن ، وله صلّى الله عليه وسلّم حق الدعوة وتبليغ الرسالة إلى كافة البشرية ، على نهج الكتاب الدستور الخالد للبشرية ، الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه * ولا من خلفه * تنزيل من حكيم حميد ﴾ ، وبالتالي : فلا مجال للتصور في الإسلام السجود للنبي ، فضلاً أن يسمح ذلك للأولياء والصالحين حياً أو ميتاً، ولا عبادة لعبد ، بل العبادة بجميع أنواعها وأشكالها ، خاصة لله تعالى ،

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة ، ورمز له (ض) .

فإنه خالق بارئ رؤوف رحيم .

إلى المقوقس عظيم القبط :

المقوقس : هو صاحب الإسكندرية المعروف باسم : "كورش" حاكم مصر (١) آنذاك ، قبطي النسل وعظيمها ، فقد خاطبه الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم في كتابه : بصفته اللائقة و منزلته الرفيعة ، والمكانة المرموقة في القبط وسيادته في مصر التي وهبها الله تعالى له ، إن دل هذا على شئ ، فإنما يدل على مدى سماحة النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم وأخلاق الإسلام السامية ، وإنزال الناس منازلهم اللائقة به ، بصرف النظر عن دينه ، وعقيدته ، وسلوكه ، وجنسيته ، والمنطقة التي يعيش بها ، فالرسول ترك لنا مثالاً واقعياً رائعاً للدعوة الإسلامية ، و قدوة حسنة للدعاة والمصلحين قاطعاً دابر العنصرية ، والعصبية الجوفاء ، وغرساً بذور الأخوة العالمية ، والسلام ، والمحبة .

فعلى الدعاة والمصلحين أن يخطو إلى الدعوة والإرشاد والإصلاح بخطوات الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم في استمالة قلوب الناس بالسيطرة ، وبالتعرف على طباعهم وقرائحهم وعقولهم ، ثم جذب انتباههم إلى المسلمات البديهيات بعيداً كل البعد عما يمس شرفهم أو يخدش مشاعرهم .

فقد أرشدنا الإسلام إلى تلقيب الناس ، و لو كانوا غير المسلمين بألقابهم اللائقة ، قال الله تعالى: ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم * ولا تنابزوا بالألقاب * بئس الاسْمُ الفُسُوقُ بعدَ الإيمانِ ﴾ . [الحجرات/١١]

سلام على من اتبع الهدى :

هذه طريقة التحية لغير المسلمين ؛ لأن السلام والتحية يهدف به

(١) قال العلامة المنصورفوري في كتابه : "رحمة للعالمين" ، اسمه : جُريج بن متى : ص/١٧٨ ، وقال د/حميد الله : اسمه : بنيامين .

أصلا طلب الرحمة من الله عزوجل للشخص المسلم عليه ، فلا يجوز ذلك لغير المسلمين إلا مقروناً باتباع الهداية ، وقبول الإسلام ، ومن أهم أعمال الدعوة أن يدعو الله الداعي للمدعو، ويتضرع إليه بكل خشوع وخضوع ، وإنابة لهداية ، وإصلاح المدعو ، كما نرى ذلك في سيرة الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أنه دعا لهداية أبي جهل وعمر رضي الله عنهما ؛ فتقبل الله جلّ وعلا عمر رضي الله عنه للإسلام وهداه .

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم :

هذا الجزء هو الغرض المنشود والهدف الأساسي ، فقد أدلى الرسول كتابه بأسلوب أنيق ظريف صريح هادف بعد أن كانت الدعوة تحت الكناية و الإشارة ، والصراحة بعد الكناية أكثر ظهوراً و وضوحاً ، وأقوى للفطرة السليمة أثراً ونفوذاً ، وأقدر على التركيز الموضوعي ، فدعاه الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم بخطابه المؤثر إلى ظلال الإسلام الوارفة ونعمة الهداية ، وإلى السلامة الدائمة ، والطمأنينة القلبية ، والراحة النفسية الممتعة ، والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة .

فعلى الدعاة والمصلحين التعمق ، والإتقان فيما يدعو إليه من معانى الإسلام وروحه ، وتعاليمه الشاملة ، والاحتراز عن دعاية الطائفية ، والنظرية والمذهبية ، والتقاليد العمياء ، وإلى المراسم البدعية الجاهلية ، فضلاً أن يدعو إلى العادات القومية ، والخرافات الزائفة باسم الإسلام والدين التي لم ينزل الله بها من سلطان .

المبادئ الأساسية للدعوة الإسلامية :

وبالبحث والتأمل يتجلى لنا أن هذه الدعوة دعوة فطرية مبادؤها النظرية ومبادؤها العلمية تناسب كل طاقة ، دعوة ليس فيها إعتاب للفكر، ولا قهر للذهن ، و لا إرهاق للتصور ، سئل أحد الحكماء ، لماذا أسلمت ؟ فقال : نظرت في الإسلام ؛ فلم أجد فيه أمراً ، يقول فيه : افعل ، و يقول فيه العقل : لا تفعل ، وكذلك لم أجد فيه أمراً، يقول فيه : لا تفعل ، ويقول

فيه العقل : افعل ، ولكن وجدت كل ما جاء به من أوامر ونواه ، يطابق عليها العقل والشرع ، أما مبادؤه المحورية الأساسية كالتالي :

١- الدعوة إلى عقيدة التوحيد : هو أن يوحد الله بكل صفاته ، كما ورد في القرآن الكريم ، والسنة النبوية من إثبات ، أو نفي بغير تمثيل ، أو تكييف ، أو تعطيل : ﴿ قُلْ : هو الله أحد * الله الصَّمد * لم يَلِدْ * ولم يُولَدْ * ولم يكُنْ لَّهُ كُفُواً أحد ﴾ ، إنها عقيدة سهلة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، ولا غموض فيها ولا إبهام ، قال الله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء/٢٢]، وجميع الرسل - عليهم السلام - دعوا قومهم إلى التوحيد الخالص ، كما جاء في القرآن الحكيم : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه * أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . [الأنبياء/٢٥]

٢- الدعوة إلى عقيدة البعث والإيمان باليوم الآخر ، وهي ترتبط بعقيدة التوحيد بأوثق الروابط ، فالإيمان بإله واحد ، يستجمع جميع صفات الكمال ، يستلزم الإيمان بحكمته البالغة ، و من الحكمة ألا يسوى بين مؤمن وكافر ، و برّ و فاجر ، و محسن ومسيئ ، فلابد من يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، قال الله تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً * وأنكم إلينا لا تُرجعُون ﴾ . [المؤمنون/١١٥]

٣- الدعوة إلى الإيمان برسل الله ، بينها وبين العقيدتين السابقتين أقوى الأواصر، وأمتن الروابط ، والإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بما جاء به ، وما جاءوا إلا بما يصل بالعبد بربه ، وبجميع خلقه ، ويجلب له الهناءة في دنياه و آخرته : ﴿ وَلَوْ أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله * لقالوا : ربّنا ! لَوْ لا أرسلتَ إلينا رسولاً * فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى ﴾ .

[سورة طه ، الآية/١٣٤]

فيجدر على الدعاة أن يشرحوا الأصول الثلاثة المتقدمة الجذرية على غرار منهج السلف الصالحين من القرون المفضلة ، أما بعد تلك العصور المشهود به ، فقد أنشئت أنواع من البدع الخلافية ، والجدل

الكلامية ، والأفكار المتنوعة ، فلا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به الأولون .

يؤتك الله أجرك مرتين :

رغم اختلاف وجهات المحدثين في توضيح العبارة المذكورة بشتى أنواع من الآراء والأقوال إلا أنهم متفقون على أن هذه بشارة سارة صريحة عظيمة من قبل الإسلام إلى جميع أتباع الديانات السماوية على أنهم إن آمنوا حق الإيمان على رسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وبما جاء به من جميع الاعتقادات ، والأحكام الإسلامية ، يؤتهم الله الأجر مرتين ، مرة في الدنيا ، ومرة في الآخرة ، مثل جميع المؤمنين ، ومرة لإتباع الدين السماوي المتقدم ، ومرة ثانية لاعتناق الإسلام . ولاستمرار ركب حياتهم ، وسلوكهم على المنهج السماوي قديماً وحديثاً ، وعدم الإصرار على الوثنية ، والخضوع أمام غير الله بالذل و المهانة ، و من ناحية أخرى لو أصر أهل الكتاب على دينهم المزعوم المنحرف ، وسلوكهم الزائف متخذين الأهواء ديناً وعقيدةً ، متضادين على إرضاء شهوات الرهبان ، ورجال الكنيسة قيادة وزعامة ، وابتعدوا عن الإسلام اعتداءً وتجاهلاً وعناداً ، فليس لهم إلا الخسران ، والعذاب الأليم .

فعلى القائمين بالدعوة أن يشجعوا ، ويبشروا الناس بما بشر به الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم من ذكر أعمالهم الحسنة ، وثمراتها في الدنيا والآخرة ، و يحاولوا رويداً رويداً غرس أخلاق الإسلام ، وسماحته في قلوب الناس ، و أذهانهم ، و تهيئة الأفكار ، و توعيتها بقبول عقائد الإسلام ، وشرائعه .

فإن تولّيت ، فعليك إثم القبط : هذه العبارة أرقى النماذج ، و أحسنها للإنذار، كما كانت العبارة السابقة مملوءة بالبشارة و حسن العاقبة ، و معنى الجملة : أيها المقوقس ! إن قبلتَ الإسلام أحسن قبول ، فالأقباط يتبعونك في مسيرة الأمام والقرار ، واتخاذ الخطوة الهامة لك ولشعبك ، فأنت أصبت الأجر ، و الحق لنفسك ، و وسيلة هادفة لهداية الأقباط ، و إقبالهم إلى الدين

الإسلامي الجديد ، قديما ، قيل : "الناس على دين ملوكهم" .

الوقفة الدعوية :

إن السادة والرؤساء وزعماء القوم ، قد تملك عليهم فكرة القوم والشعب أكثر مما تغلب عليهم فكرة النفس وشخصيته ، فلا يتخذون رأياً نفسياً حساساً ضد نصب أعين الشعب ، ومصالحها حرصاً على تحفظ وجهة أنظار الشعب ، خوفاً عن قيامهم ضده قياماً حاسماً معارضاً .

فعلى الراعي للدعوة الإسلامية رعاية هذه النفسية ، والطبيعة الشاخصة ، ثم يخاطب معه متسللاً ، ومتمشياً بفكرة الناس وقومه يحيط عليهم بعرض الهدف الهادف بوسعة الآفاق بحيث تعم قومه وشعبه ، فقد رأينا في خطاب الرسول للمقوقس أروع الأسلوب وأحسنه وأقومه منهجاً وطريقةً .

لأن طبيعة رؤساء القوم وزعمائهم البارزة ، أنهم يلهفون وراء السيادة ، كما يهفون إلى الإمامة والريادة ، وشغلهم الشاغل ، حول هتافات الناس به كالسيد والرئيس لهم .

فإذا كان الحوار يدور حوله وحول الشعب كقائدهم وسيدهم يتمثّل به ثمرة يانعة ناضجة ناتجة ، كأنك أطلقت الرصاص إليه بمقتله الحساس ، فإن تجرد الحوار عن موضوع القوم ، وجنح إلى النفسي والشخصي ، فمعظم الأوقات يكون أقل التفاتاً ، وأخف اهتماماً ، وبعض الأحيان يُضرب عرض الحائط ، فما أحسن الأسلوب النبوي الدعوي المثمر، وما أجود النموذج حيث بعثه الله معلماً ومربياً، وقدوةً حسنةً للأمة جمعاء.

يا أهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم :

من أكبر مميزات الإسلام ، وأبرز سماته أنه يعترف حقوق الإنسان بمعناها الواسع ، ومقوماتها الأساسية ، ومن أهمها اعتراف حق الديانة والعقيدة ، الذي هو أكبر الحقوق ، وأكثرها حظاً من الشغف والاهتمام ، فقد تذكر الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أهل الكتاب في خطابه هذا

بمذكراتهم الدينية التاريخية ، ودعاهم إلى المساواة بين الأديان السماوية بأصولها ومبادئها الأصلية المستقيمة ، و وجهة نظرها الدعوية ، والوقوف عند هدفها السامي ، فقد خاطبهم الله تعالى باسم : ﴿ يا أهل الكتاب ! ﴾ مثل خطابه للمؤمنين ، "يا أيها الذين آمنوا !" مشيراً إلى شرفهم المسبق ، وقدرهم القديم بالدين السماوي ، بينما خاطب أهل الوثنية والمجوسية بأوصافهم الشركية ، ثم نادى الله تعالى أهل الكتاب إلى تسوية الكلمة ، والاتحاد والتعاون ، و التقارب والمساندة ، والتفاهم بعضها مع بعض ، فكل دين من الأديان السماوية متحد مشترك مهما يختلف في القالب والشكل ، والصورة والوضع ، ويتنوع في الأحكام والشريعة ، لكن حالها متفقة متناسقة في أساس التوحيد ، و روحه ، و دعوة الرسالة ، وسماحته ، والإيمان بحياة جديدة في يوم البعث في الآخرة ، فأهل الكتاب والمسلمون عقيدتهم واحدة ، ومبادؤهم الانطلاقية واحدة ، و مسيرتهم واحدة ، وبدايتهم واحدة ، ونهايتهم واحدة ، وشعارهم واحد ، و هي إعلاء كلمة الله العليا ، وغرس راية التوحيد والرسالة والآخرة في مكان الجدب والسهلة ، كأنها شجرة متينة جذورها ثابتة ، والفروع وأغصانها متنوعة ، قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ ضرب الله مثلاً : كلمةً طيّبةً * كشجرة طيبة * أصلها ثابت * و فرعها في السماء ﴾ [إبراهيم/٢٤] ، أو كأنها أبناءً مختلفون تمخضوا من أم واحدة .

لكن الأسف المؤلم أن الديانة اليهودية والنصرانية شقيقا الإسلام ، قد ضلا عن سبيل الرشد والهدى ، وانحرفا عن مسارها الوضعي ، واتخذا سبيلاً إلى المادية الجوفاء السافرة العاتية غير سبيل السماء المنزل ، وأصبحا فاقدي الحياة والحركة ، ثم تقلب الأصل وضعاً، والوضع أصلاً، وانقلب الرأس قدماً ، والقدم رأساً، حتى لو عاد مؤسسهما لا يعرفهما ، بل ينكر عليهما .

نقطة الاتحاد للأديان السماوية : ﴿ ألا نعبد إلا الله * ولا نُشرك به شيئاً * ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ :

لما ثبت فيما سبق ذكره أن الأديان السماوية متحدة في الأصول مختلفة في الفروع ، فما هي نقطة الاتحاد ، وما هو عموده الجذري ؟

الأول – التوحيد : وهو أن يوحد الله بكل صفاته بما وصفه الله به نفسه في كتابه أو وصفه رسوله في حديثه بغير تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

القاعدة المعروفة : إذا ثبت شئ ينفي ضده ، فأثبتنا لله التوحيد ، ونفينا عنه الشرك في الذات والصفات ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ : هو الله أحد * الله الصمد * لم يلدْ * ولم يُولَدْ * ولم يكُن له كُفُواً أحد ﴾ ودعاء الأنبياء قومهم : يا قوم ! اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

الثاني – الرسالة : أن يصدق الرسول ، ويؤمن به ، وبما جاء به من أحكام وشرائع ، وأنه نبي الله المرسل عليه الصلاة والسلام لهداية الناس ، وصفوة القوم ، ومختار الله للنبوة .

الثالث – الآخرة : أن يؤمن بالله تعالى بأنه سيبعث بعد الموت ، ثم يحشر أمام الله تعالى للحساب فيما سبق له من حياة دنيوية ، وأعمال سيئة أو حسنة ، فيجزى بها إما النار ، وإما الجنة .

هذه هي المبادئ الجذرية الإيمانية الدعوية تحتوي على جميع المعتقدات بأصولها وفروعها ، وهذه المقومات تدفع المعتنق بها إلى التحلي بصالح العبادات ابتغاء وجه الله الكريم ، و تبتعد عن كل المعاصي و الرذائل اجتناباً عن مقت الله ، وغضبه ، وسخطه الذي يسوق إلى النار .

فالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم دعا المقوقس إلى أخذ المبادئ الثلاثة إجمالاً أو تفصيلاً بأسلوب رائع هادف ، أما الدعوة إلى التوحيد ، و الابتعاد عن الشرك ، فجاء في القرآن الكريم : ﴿ يا أهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * ألاّ نعبُد إلا الله * ولا نُشرك به شيئاً * ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ . [آل عمران/٦٤]

الدعوة إلى "الرسالة" ، فقد ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اسمه الكريم مقارناً بـ "الرسول" ، و دعا إلى الإسلام بحيث إنه دين جديد ،

ومنهج متكامل إلهي سماوي .

أما الدعوة إلى الآخرة ، فدعاه الرسول إلى اعتناق الإسلام ، و أطمعه بالأجر مرتين في الدنيا والآخرة ، وإن يتولى عن الإسلام ، فعليه إثمه ، ووزر القبط جمعاء ، فالأجر والعقاب المترتبان لا يتصوران إلا في الآخرة ، لأن الدنيا مزرعة للعمل ، و الآخرة حصادة الثمرة والاستمتاع بها ، بالتالي فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم سلك في سبيل دعوته إلى الإسلام مسلك الأخوة من الأنبياء والرسل .

ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله :

من الحقيقة الثابتة : أن الأنبياء والرسل ، هم الأطباء الروحانيون يشخصون المرض الساري ، والداء الخطير بمنظار الوحي ، وعقولهم الثاقبة ، يفحصون النبض بمقياس سماوي إلهي لا يعتري عليه الشك والجهل أبداً ، ثم يعالجون المجتمع والفرد ، ومرافق الحياة معالجة دقيقة هادفة ناجحة ، حتى يكون الإنسان بروحه وفكرته ، وخصاله ، ومعتقداته صالحاً سالماً للعبادة لله وحده ، وتنمو رويداً رويداً في قلبه القوة الروحية ، والفكرية التي تبعده عن كل الرذائل أخلاقياً أو سلوكياً ، اجتماعياً أو تجارياً .

فقد يحكي لنا تاريخ الأقوام والأزمان أنه ما من قوم تسرب إليهم عادات وثنية طاغية ، و خصائل بدعية جاهلية إلا فسدت القلوب والضمائر ، وتعفنت المجتمعات ، وسرت بها في زواياهم السموم القاتلة ، فأصبح القوم جثة ميتة ، بل أفسدوا عليهم ، وعلى الأجيال الصاعدة ذوقها التوحيدي ، وفطرتها الصافية ، فالنصارى – بعد المسيح عليه السلام – قد اتخذوا أولياؤه و أحباره أرباباً من دون الله ، وأعطوا لهم حق التصرف الإلهي ، وتضافرت العادة طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل ، فالرسول قدم العلاج الفعال للمقوقس ، ودعاه إلى ألا يتخذ الأرباب من دون الله ، فلا رب غير رب العالمين ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له .

[للبحث صلة]

أضواء حول: فطرية الإسلام

(١) بقلم : الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح (القاهرة)

لما كانت الفطرة ، فطرية الإسلام ، عاملاً من العوامل الذاتية في الإسلام ، التي دفعت الناس إلى الإقبال على الإسلام ، كان علينا أن نجلي مفهوم الفطرة في مفاهيم أهل اللغة ، ومفاهيم أهل الاصطلاح .

يقول ابن منظور : فطر الله الخلق يفطرهم : خلقهم وبدأهم ، والفطرة الابتداء والاختراع ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ...﴾ [فاطر/١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما كنت أدرى ما فاطر السماوات و الأرض ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي : أنا ابتدأت حفرتها (١) .

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما : أنه سمع أعرابياً، يقول : أنا أول من فطر هذا ، أي ابتدأه (٢) ، والفطرة – بالكسر– : الخلقة (٣) ، قال الشاعر :

هون عليك فقد نال الغنى رجل
في فطرة الكلب لا بالدين والحسب (٤)

وفي القرآن الكريم ، جاء على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السماوات والأرض حنيفاً * وما أنا من المشركين ﴾.. [الأنعام/٧٩]

(١) تفسير ابن كثير : ج/١ ، ص/٥١٩ .

(٢-٣-٤) ابن منظور : لسان العرب : ج/٥ ، ص/٣٤٣٣ مادة (فطر) .

والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به (١) .

يقول الراغب الأصفهاني : و فطر الله الخلق ، هو إيجاده الشئ ، وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال ، فقوله تعالى : ﴿ ... فطرة الله * التي فطر الناس عليها ﴾ [الروم/٣٠] .. إشارة منه تعالى إلى ما فطر، أي : أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى ، وفطرة الله : هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان (٢)، لأن من معاني الفطرة ذلك الإقرار بالرب ، نتيجة الميثاق ، الذي أخذه الله من ذرية آدم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ و إذ أخذ ربُّكَ من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتَهُم * وأشهدهم على أنفسهم * ألست بربكم * قالوا : بلى ! ﴾ [الأعراف/١٧٢] ، فهذا يعني : أن الخلق مجبولون على المعرفة بالله ، فهو شئ يجدونه في أنفسهم ، لا يستطيعون له دفعاً، وإذا أصابتهم ضراء دعوا الله ، و رفعوا إليه أكفهم ، فَمَنْ أين جاءهم هذا التوجه إلى الخالق ، وأنه هو الذي يستطيع رفع الضر ؟ إنها الفطرة المركوزة فيهم ، و لو لا أن في النفس قابلية لمعرفة الله ومحبته ، والذل له ، لما استطاع التعليم ، والتذكير أن يؤثر فيها ، فقوة المحبه لا تأتى من الخارج ، وإنما هي شئ في الداخل ، ولما دعا الرسل أقوامهم إلى عبادة الله ، دعوهم إلى من يعرفونه ، ولم ينكر دعوتهم أحد (٣) .

وأما إنكار فرعون ، فهو إنكار العارف ، كما قال : ﴿ وجحدوا بها * واستيقنتها أنفسهم * ظلماً وعلواً ﴾ [النمل/١٤] ، وكما قال له

(١) ابن منظور : لسان العرب : ج/٥ ، ص/٣٤٣٣ ، مادة (فطر) .

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن الكريم : ص/٣٨٢ ، ط/دار المعرفة – بيروت .

(٣) محمد سليمان : من مشكاة النبوة : مقال بمجلة "البيان" ، العدد السابع عشر : ص/٢٠ ، الصادر في شعبان ١٤٠٩هـ ، عن المنتدى الإسلامي بلندن .

موسى عليه الصلاة السلام : ﴿ لقد علمت * ما أنزل هؤلآء * إلا رب السماوات والأرض ... ﴾ . [الإسراء/١٠٢]

وبعض العلماء يذكر أن المراد بالفطرة : الإسلام ، ويستدل هؤلآء بقول الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وجهكَ للدِّينِ حنيفاً * فطرة الله التي فطر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله * ذلك الدِّينُ القَيِّمُ * ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ . [الروم/٣٠]

يقول ابن كثير : فسدد وجهك ، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم ، التي هداك الله لها ، و كملها لك غاية الكمال ، و أنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ، كما في قوله تعالى : ﴿ وأشهدهم على أنفسهم * ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! ﴾ . [الأعراف ١٨٢] (١)

و يقول الزمخشري في تفسيره : "فقوم وجهك له ، و عدله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً ، و هو تمثيل لإقباله على الدين ، واستقامته عليه ، وثباته واهتمامه بأسبابه ، فإن من اهتم بالشئ ، عقد عليه طرفه ، و سدد إليه نظره ، وقوم له وجهه ، مقبلاً به عليه" (٢) .

و (فطرة الله) أي : الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، و الفطرة : الخلقة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ ، والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام ، غير نائين عنه ، ولا منكرين له ، لكونه مجاوباً للعقل ، مساوقاً للنظر الصحيح ، حتى ولو تركوا ، لما اختاروا عليه ديناً آخر (٣) .

---

(١) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج/١ ، ص/٣٢٠ .
(٢) الزمخشري : الكشاف : ج/٣ ، ص/٢٠٤ .
(٣) الزمخشري : الكشاف : ج/٣ ، ص/٢٠٤ بتصرف واختصار .

ويقول سيد قطب : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ﴾ أي : واتجه إليه مستقيماً ؛ فهذا الدين ، هو العاصم من الأهواء المتفرقة ، التي لا تستند على حق ، و لا تستمد من علم ، إنما تتبع الشهوات والنزوات بغير ضابط ، و لا دليل ، أقم وجهك للدين حنيفاً ماثلاً عن كل ما عداه ، مستقيماً على أمره دون سواه (١) .

﴿ ... فطرة الله التي فطر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله ... ﴾ [الروم/٣٠] ، وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية ، وطبيعة هذا الدين ، وكلاهما من صنع الله ، وكلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه ، والله الذي خلق القلب البشري ، هو الذي أنزل إليه هذا الدين ، ليحكمه ويصرفه ، ويشفيه من المرض ، ويقومه من الانحراف ، وهو أعلم بمن خلق ، وهو اللطيف الخبير ، والفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة ، لم يردها إليه إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة ، فطرة البشر ، وفطرة الوجود (٢) .

فأنت ترى من خلال تفسير ابن كثير ، والزمخشري ، وسيد قطب : أن الفطرة هي الإسلام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة عجماء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟" ، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا : ﴿ ... فطرة الله التي فطر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله ... ﴾ [الروم/٣٠] ، قالوا : يا رسول الله ! أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال : "الله أعلم بما كانوا عاملين" .

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يرشدنا إلى أن تغيير هذه الفطرة

(١-٢) سيد قطب : في ظلال القرآن الحكيم : ج/٥ ، ص/٢٧٢٧ .

يقع بتأثير الوالدين ، أو تأثير البيئة ، ولذلك شبه المولود بالبهيمة العجماء ، التي تولد سليمة ، مجتمعة الخلق ، لا تغيير فيها ولا تشويه ، ولكن الناس يغيرون خلقها بعدئذ ؛ فيشقون آذانها أو غير ذلك .

فالفطرة : لو تركت دون تأثير خارجي ، سواء من الوالدين أو غيرهم ، وأزيحت عنها العوائق من الشبهات والشهوات ، فهي تقتضيه بذاتها لدين الإسلام (١) .

ويقول أحد المفكرين : وعامة السلف ، وجمهور المحدثين ، على أن المراد بالفطرة في الحديث : الإسلام ، وقالوا : إن فطرة الله التي فطر الناس عليها ، هي : الإسلام ، وذكر هذا عن كثير من السلف في تفسير الآية السابقة (٢) ، قالوا : دين الله ؛ هو الإسلام ، والأدلة على ذلك كثيرة :

أولاً : أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا الحديث سألوه عن أطفال المشركين ، فقال لهم : ﴿ الله أعلم بما كانوا عاملين ﴾ (٣)، فلو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام ، لما سألوه عن ذلك ، لأنه لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة ، ما داموا بين أبوين كافرين صلى الله عليه وسلم : "فأبواه يهودانه أو ينصرانه" :يبين أنهم يغيرون الفطرة التي ولدوا عليها .

ثانياً : لقد شبه الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة غير مجدوعة ، لا نقص فيها ، ثم يطرأ عليها النقص بعد ذلك

(١) محمد سليمان : من مشكاة النبوة ، مجلة "البيان" ، العدد/١٧ : ص/٢٠ بتصرف .

(٢) و هو قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدّين حنيفاً * فطرة الله التي فطر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله * ذلك الدّينُ القَيّمُ ﴾ [الروم/٣٠] .

(٣) يقول ابن منظور في كتابه : "لسان العرب" تعليقاً على هذا النص النبوي يذهب إلى أنهم إنما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر ، لسان العرب : ج/٥ ، ص/٣٤٣٤ ، مادة (فطر) .

بجدعها ؛ فعلم من ذلك أن التغيير وارد على الفطرة السليمة .

ثالثاً : الحديث مطابق لما في الآية الكريمة : ﴿ ... فطرة الله التي فطر الناس عليها ... ﴾ و هذه الآية وصف الله بها الدين الذي أمر نبيه بأن يقيم وجهه له في قوله : ﴿ ... فأقم وجهكَ للدّين حنيفاً ... ﴾، ثم قال : ﴿ فطرة الله ﴾ ، والإضافة هنا : للمدح والتشريف ، فعلم أنها فطرة ممدوحة ، لا مذمومة : ويؤيد هذا كله الروايات الأخرى ، التي فسرت الفطرة بأنها : الحنيفية ، وبأنها هذه الملة ، يعني : الإسلام .

رابعاً : ولو كانت الفطرة هنا شيئاً غير الإسلام ، لكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد ذكر الإسلام في جملة ما ذكر من الأديان التي تفسد الفطرة بالتحول إليها ، ولقال : "فأبواه يهودانه وينصرانه أو يسلمانه" ولكنه لم يذكره ، لأنه الدين الذي تتغير الفطرة بتحولها عنه ، وليس بتحولها إليه (١) .

وإذا كانت الفطرة تقتضي الإسلام ، فهذا يعني : طروء الكفر ، وأنه ليس هو الأصل في النفس البشرية ، و قوله تعالى : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ أي : لا تبديل لدين الله ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً * فَبَعَثَ الله النبيين مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ * و أنزل معهم الكتب بالحق * ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ... ﴾ . [البقرة/٢١٣]

أخرج ابن كثير في تفسير هذه الآية ، قول قتادة : ﴿ كان الناس أمةً واحدةً ﴾ ، قال : "كانوا على الهدى جميعاً ، ثم اختلفوا فيه" (٢) .

و أما ما جاء في سورة الكهف في قصة موسى عليه السلام ، والرجل

(١) د/محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي : ص/٢٣٤ ، ط/مطبعة الحلبي بالقاهرة ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٢) تفسير ابن كثير : ج/١ ، ص/٣٦٥ .

الصالح الذي قتل الغلام ، فلا يعني هذا : أن كفر هذا الغلام كان موجوداً حين الولادة ، لذلك جاء في الحديث الصحيح : "أن الغلام الذي قتله الخضر ، طبع يوم طبع كافراً ، ولو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً" (١)، فقوله (طبع) أي طبع في الكتاب ، أي : قدر وقضي ، فهو مولود على الفطرة السليمة ، ولكن يتغير بعدئذ فيكفر ، كما أن البهيمة التي ولدت عجماء ، وقد سبق في علمه – سبحانه وتعالى – أنها تجدع ، كتب أنها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة (٢) .

وقد قتل الصحابة في سرية من السرايا أولاد المشركين ، فأنكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقالوا : أليسوا أولاد المشركين ، فقال : "أليس خياركم أولاد المشركين ؟" (٣)، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : "ألا أن كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يعرب عنه لسانه" (٤) .

فهذا يبين أن الكفر طرأ بعد ذلك (٥) .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في موضعين ، كتاب الفضائل ، باب فضائل الخضر : ج/٤ ، ص/١٨٥٢ ، وكتاب القدر ، باب كل مولود يولد على الفطرة : ج/٤ ، ص/٢٠٥٠، ورواه الترمذي في صحيحه ، تفسير سورة الكهف : ج/٤ ، ص/٣٧٤، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد في مسنده : ج/٥ ، ص/١١٩-١٢١ ، ورواه أبو داؤد في سننه ، كتاب السنة ، باب القدر : ج/٤ ، ص/٢٢٧ .

(٢) محمد سليمان : من مشكاة النبوة ، مجلة "البيان" ، العدد/١٧ : ص/٢١ .

(٣) رواه أبو داؤد في سننه ، كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين : ج/٥ ، ص/٨٤ ، رقم الحديث/٤٧١١ ، ورواه أحمد في مسنده : ج/٢ ، ص/٢٦٦، ٢٩٣، ٤٧١ .

(٤) بهذا اللفظ : أحمد في مسنده : ج/٣ ، ص/٣٥٣ ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة : ج/٤ ، ص/٢١٤٨ .

(٥) محمد سليمان : من مشكاة النبوة ، مجلة "البيان" ، العدد/١٧ ، ص/٢٢ .

ومما ينبغي أن معرفته في ذلك : أن الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم إذا قال : "كل مولود يولد على الفطرة" يعني : على الإسلام أو الحنيفية ، فليس المراد أنه خرج من بطن أمه ، و هو يعلم هذا الدين و يعرفه ، لأن الله يقول : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم * لا تعلمون شيئاً * وجعل لكم السمع * والأبصار * والأفئدة * لعلّكم تشكُرُون ﴾ [النحل/٨٧] ، ولكن المراد أن فطرته موجبة ومقتضية لمعرفة كل ما هو حق ، ومحبة كل خير ، ونفس الفطرة تستلزم الإقرار بالحق ، ونشدان الخير ، ولهذا فقد استدل بالفطرة السليمة على معرفة الخالق – سبحانه – و الإقرار بربوبيته ، لأن معرفته رأس الخير كله ، وموجبات الفطرة تحصل بعد ذلك شيئاً بعد شئ ، بحسب درجة استعداد الطفل لتحصيل ألوان المعارف ، وحرصه على ذلك ، وبحسب كمال فطرته ، إذا سلمت من المعارض (١) ، فالفطرة الطبيعية تتجلى في الطفل صريحة ، دون تكلف أو تصنع (٢) .

وإذا كان من البديهيات في حس كل مسلم ومسلمة : أن خالق هذه الفطرة هو منزل هذا القرآن الكريم ، وهو الله – تعالى – فمن الطبيعي أن نعلم يقيناً أن هذا الدين لابد أن يكون موافقاً للفطرة ، إذ يستحيل أن يكون في دين الله أو شرعه أمر يخالف ، ويعارض ما فطره عليه ، فالحكيم العالم بما خلق ، ومن خلق ، يضع الشريعة المناسبة له ، والملائمة لخلقه ، وكل أمر شرعي يخطر في بالك أنه يعارض الفطرة ، فيجب أن تعلم أنه لا يخلو من احتمالين :

الأول : إما أنه أمر شرعي ، ولا يخالف الفطرة الصحيحة المستقيمة ،

---

(١) د/محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر : ص/٢٣٥ .

(٢) د/علي عبد العظيم : إن الدين عند الله الإسلام : ص/٢٥ ، ط/مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – القاهرة ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

فمخالفته للفطرة وهم .

والثاني : وإما أن يخالف الفطرة فعلاً ، ولكنه لا يكون أمراً شرعياً، وإن نسبه الناس إلى الدين بغير علم ولا هدى (١) .

ومن الخصائص الأساسية للعقيدة الإسلامية : أنها عقيدة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، فعند ما دعا الإسلام البشر جميعاً إلى الإيمان بالله والعبودية له وحده ، كان لهذه العقيدة صدى في أعماق فطرة الإنسان (٢) ... فهي مخالفة لفطرة الإنسان ، وحينما جاء الإسلام موافقاً للفطرة الإنسانية السليمة دخل الناس في دين الله أفواجاً ، لأنه تعامل مع رصيد الفطرة المكنون ، وهو رصيد ضخم هائل لا تقف أمامه أي قوة ، حين يستنفذ ، ويجمع ، ويوجه ، ويطلق في اتجاه سليم مرسوم (٣) .

وحسبنا في بيان هذا أن نشير إلى : أن الإسلام في ناحية العقيدة لا يأمر إلا بعبادة إله واحد ، لم يتخذ ولداً ، و لم يكن له شريك في الملك ، فلم يقل بإلهين اثنين متشاكسين ، كما قالت الثنوية ، حين زعم دعاتها : أن الحياة صراع بين إله الخير و إله الشر، وليس فيه شئ من الأسرار المسيحية ، مثل : "سر التثليث" ، و "سر القربان" ، وتحوله إلى لحم المسيح ودمه ، هذه الأسرار التي لا يصل أحد من رجال المسيحية أنفسهم إلى أن يدركوها إدراكاً عقلياً صحيحاً ، ولهذا يطلبون من أتباعهم الإيمان بها ، دون محاولة فهمها ، ولكن هيهات ، و فكرة الوساطة في المسيحية بين الله و عباده فكرة

(١) سلمان بن فهد العودة : نداء الفطرة لدى الرجل و المرأة : ص/٩ ، ط/الرياض ، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

(٢) د/السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام : ص/٨٧ ، ط/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٣) سيد قطب : هذا الدين : ص/٥٠ ، ط/سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

لا يستسيغها العقل ، ولا يرى لها ضرورة ، ولا يعرف لها غاية ، فإنه لا معنى لتوسط رجل من رجال الدين بين الله ، وبين أحد من الناس ، والله العليم بكل نفس ولا حجاب بينه ، وبين أحد من خلقه ، ولهذا يرى الإسلام أن لكل واحد أن يتجه لله مباشرة بعقله ، ويرفع إليه رجاءه بلا وسيط من رجال الدين (١) ، و في هذا جاء في القرآن الكريم : ﴿ وإذا سألكَ عبادي عنّي * فإنّي قريب * أُجيبُ دعوةَ الدّاع * إذا دعان ... ﴾ [البقرة/١٨٦] ، وكذلك فكرة أن الإنسان ولد ، وجاء إلى هذه الحياة مثقلاً بالخطيئة الأصلية التي لا يستطيع منها فكاكاً ، وتقول بها المسيحية ، ونعرفها نحن من كتبها التي بين أيدينا ، وهم يعنون بها أن الإنسان يولد ، وعليه وزر خطيئة آدم عليه السلام جده الأعلى حين خالف عن أمر ربه ، وأكل من الشجرة التي حرم الله قربانها ، و بذلك يحملونه وزراً لم يجنه ، و يجعلونه يعيش طول حياته ، وهو رازح تحت أثقال هذه الخطيئة المزعومة ، ومن ثم يطلبون من الإنسان أن يؤمن بعقيدة الصلب والفداء ، أي : صلب المسيح الإله ، تفدية للبشر مما لحقهم من هذه الخطيئة الأصلية (٢) .

وكيف يستطيع عقل الإنسان أن يؤمن بأن "الإله" – كما زعموا – يتمكن منه أعداؤه ، فيصلبونه وهو يستغيث ، ولا مغيث له ، على حين يقول القرآن الكريم – كتاب الإسلام – عن آدم عليه السلام : ﴿ ... وعصى آدم ربّه فَغَوَى * ثُمَّ اجْتباه ربّه * فتاب عليه وهدى ﴾ [سورة طه/١٢١-١٢٢].. كما يقرر أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ،

(١) كان على الدكتور/محمد يوسى موسى الذي نقلت عنه هذا النص من كتابه "الإسلام ، وحاجة الإنسانية إليه" ألا يستعمل عبارة رجال الدين في الجانب الذي يخص المسلمين ؛ لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين ، وإنما علماء دين .

(٢) د/محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه : ص/٤٣ .

كما يقرر من ناحية أخرى : أن الإنسان يولد بريئا من كل ذنب أو خطيئة ، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، وأن من يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وأن الله – تعالى – أمره هو القوي العزيز ، فلا ينال منه أحد (١) .

وفطرة العقيدة دليل واقعيتها ورسوخها ، وتقبل الناس في يسر لها ، كما أنها عنصر هام في تأثيرها في الأخلاق والسلوك ، وحوار القرآن الكريم للمشركين ، وتقديم هذه التساؤلات لهم :

= ﴿ ... أفي الله شك ... ﴾ [إبراهيم/١٠] .
= ﴿ ... أإلهٌ مّع الله ... ﴾ [النمل/٦٠-٦٤] .
= ﴿ أفمَن يخلق * كمَن لا يخلق ... ﴾ [النمل/١٧] .
= ﴿ ... هذا خلق الله * فأروني * ماذا خلق * الذين من دونه ... ﴾.
[سورة لقمان/١٧]

يؤكد أن لهذ التساؤلات صدى في أعماق الناس ، يدفعهم إن استقامت فطرتهم إلى الجواب السديد (٢) .

فالإسلام دين الفطرة دون منازع ، أي : أنه الدين الذي يتلاءم كل الملاءمة مع الخليقة ، و من هنا صح لنا ولغيرنا أن نسميه دين البشرية ، وما كان الإسلام ليسمى دين البشرية اعتباطاً أو تحمساً .

ولكن جاء به هذا الدين من دستور يقبله العقل ، وهداية يستنير بها القلب ، وعمق يرتكز عليه الإيمان ، وتطور يصلح لكل زمان ومكان ، وشريعة تنظم أحوال المجتمع ، ومساواة تربط بين جميع الناس ، وتأمين للنفس البشرية يجعلها تطمئن إلى حياة أخرى ، تلقى النعيم بقدر ما قدمت من خير – مع فضل الله ورحمته – كل ذلك وغيره جعل الإسلام أقرب إلى طبيعة النفس البشرية ديناً ترتضيه وسراجاً تهتدي به ، وصمام أمان يرد على النفس طمأنينتها إذا هزها ريب ، أو اعترتها شكوك (٣) . [للبحث صلة]

(١) د/محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه : ص/٤٣ .
(٢) د/السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام : ص/٨٨ .
(٣) د/مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب : ص/٣٩، ط/البابي الحلبي بمصر . سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

في رحاب السنة المطهرة

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير لمجلة "البحوث الإسلامي" - الرياض

السنة المطهرة : هي المصدر الثاني ، الذي يستقي منه المسلم أمور دينه ، ويجب أن يعضّ عليها بالنواجذ ، لأن بها قوام دينه ، وسلامة معتقده ، وهي الموضحة لما أجمل في القرآن الكريم ..

فالصلاة عرفناها مجملة ، أما أوقاتها وكيفيتها وأركانها و واجباتها ، فقد عرفنا ذلك بالسنة المطهرة ، يقول سبحانه في مواقف عديدة ، آمراً عباده بالصلاة ، وتأتي الزكاة مقترنة بها في الأمر : ﴿ وأقيموا الصلاة * وآتوا الزكاة * وأطيعوا الرسول ﴾ . [النور/٥٦]

لكن رسول الله بيّن أوقات الصلاة : بداية ونهاية لكل وقت ، في حديث جبريل ، الذي أمّ رسول الله في أول الوقت من الأوقات الخمسة مرّة ، وفي المرة الأخرى أمّه في آخر الوقت فيها كلها ، وقال : يا محمد ! الصلاة بين هذين الوقتين ، و نهى عليه الصلاة والسلام عن تأخيرها عن وقتها بغير عذر ، لأن هذه صفات المنافقين وعن صفة الصلاة ، كان يقول لأصحابه : "صلوا كما رأيتموني أصلي" ..

ولذا حرص أصحابه على نقل كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام ، فجاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عنهم ، الموثّقة ، حتى يستبرئ المسلم لدينه ، وما ذلك إلا لأهمية هذه الشعيرة ، التي اعتبر تركها كفراً ، حيث يقول ﷺ : "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها كفر" .

و قد ألّف كثير من علماء الإسلام ، مصنّفات في كيفية صفة صلاة

النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، موثقة بالأحاديث والأخبار الصحيحة ، ومنهم الإمام أحمد ابن حنبل يرحمه الله ، وفي العصر الحاضر الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله..

والزكاة المقترنة بالأمر التشريعيّ مع الصلاة ، لأهميتها ، واعتبرها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، من حقّ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، في محاربتة للمرتدّين ، فاعتبر مانعي الزكاة في حكمهم ، وقال : والله لو منعوني عقالاً، وفي رواية : عناقاً ، كانوا يؤدونها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لحاربتهم عليه ، واعتبره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في هذا الفهم أفقه منه بسنة رسول الله ﷺ .

هذه الزكاة لم يأت في القرآن نصّ بتعيين الأنصبة ، ولا مقدار ما يعفى من الزكاة ، وما فيه زكاة ، ولا وقت الوجود ، بل إن جميع أحكام الزكاة ، التي حرص على إبانتها الفقهاء في كتبهم ، كلها تستند على سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، واجتهادات الصحابة ، في فهمهم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، عدا أصحابها الثمانية الذين هم أهلها الذين تصرف لهم ، ففي آية من سورة التوبة ، وتوضيح ذلك الإجمال أبانته السنة المطهرة ..

والحج الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، أوضح تفاصيله وأحكامه ، وكيفيّته رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وسهل على أمته تطبيقه ، عندما كثرت عليه الأسئلة ، في حجة الوداع ، فقد كان لا يسأل يومئذ عن أمر قدم أو أخّر إلا قال : افعل ولا حرج ..

وكان يقول لأصحابه : "خذوا عني مناسككم" .. فكان قدوة لأمته في أفعاله وأقواله ، وفي تصرفاته وأحكامه ، يعلمهم مما علمه الله ، ويوجههم لما فيه خيرهم الدنيوي بالعبادات الصحيحة السليمة ، و ينهاهم عن الغلوّ في الدين ، و تجاوز الحد ، الذي يفضي إلى التشديد على النفوس ، و التنفير من الدين : فيقول : "الدين يسر ، وليس بعسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه" ، ويقول : "يسّروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفرّوا" .

فكان الصحابة رضوان الله عليهم يتأدبون عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا جلس ، ويفرحون بالوافد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليسأله في أمور دينه ، وما يجب عليه أن يفعله ، وماذا عليه أن يجتنبه ..

بل بلغ الأمر ببعضهم إذا رأى أعرابياً قادماً على مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المسجد ، أن يلقّنه بعض الأسئلة ، لكي يستفيدوا منها حكماً ، في جواب رسول الله ﷺ للسائل ..

فكان أمر الله لعباده المؤمنين باتّباع سنة رسول الكريم عليه الصلاة والسلام : أمراً يمتثل ، ونهياً يجتنب .. وما كان بينهما مسكوتاً عنه ، فهو رحمة للأمة ، ولم يكن نسياناً ، كما ورد بذلك التوجيه الراشد للأمة : "إن الله قد حدّ حدوداً ، فلا تنتهكوها، وفرض فرائض ، فلا تضيّعوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان ، فلا تسألوا عنها" ، ونهى صلّى الله عليه وسلّم عن كثرة الأسئلة و الاختلاف ، كما حصل عند الأمم السابقة ، فيفرض عليهم ما لا يطيقونه ، فيضلّوا مثلهم .

يقول جلّ وعلا : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه * وما نهاكم عنه * فانتهوا * واتّقوا الله * إن الله شديد العقاب ﴾ . [الحشر/٧]

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن علقمة ، قال : قال عبد الله بن مسعود : لعن الله الواشمات والمتوشّمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد ، يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه ، فقالت : إنه بلغني أنّك لعنت كيت وكيت ، فقال : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، و هو في كتاب الله ، فقالت : لقد قرأت ما بين الدّفتين ، فما وجدت فيه شيئاً من هذا ، قال : لئن كنت قرأته ، لقد وجدته ، أما قرأت : ﴿ وما آتاكم الرسول * فخذوه * وما نهاكم عنه * فانتهوا ﴾ ، قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

ومن هذا أن المسلم إذا عاش في رحاب السنة ، واستأنس بها ، فإنه يجد لذّة في قلبه ، وراحة في نفسه ، لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يأمر

إلا بما فيه خير ومصلحة ، ولا ينهى إلا عما فيه شر ومضرة ، وخوفا منه على أمته ، فقد أخبر أنه يأتي بعده ثلاثون كذاباً ، كلهم يدعى النبوة ، وحذّر من المسيح الدّجّال وفتنته ، لأنه يضل الناس ، و يفتنهم عن طاعة ربهم ، ويباعدهم عن الحق الذي أمر الله به أن يتّبع ..

كما كان عليه الصلاة والسلام ، يحذّر أمته من الكذّابين ، وأشدهم إثماً الذين يكذبون على الله ، وعلى رسوله ، يقول صلّى الله عليه وسلّم : "من كذب عليّ متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار ، و أخطأ ولو أصاب" ، فالكذب عليه صلّى الله عليه وسلّم ، ليس كالكذب على غيره ، لأن الكذب عليه ، هو كذب على الله ، يترتب عليه حكم شرعي يضيّع ، أو باطل ما أمر الله به ، و لا رسوله يرسّخ ، و كلا الأمرين شر ، يراد من ورائه ، نقض الإسلام عروة عروة .. فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لا يفرّق بين أنبياء الله و رسله ، و لا يقدّم في الفضل إلا من قدمه الله تعالى ، واليهود والنصارى ، ينكرون نبوة محمد ، وينالون منه ومن رسالته ، كما ينالون من بعض الأنبياء ، وقد أخبرنا الله سبحانه في القرآن الكريم عن اليهود بأنهم يقتلون أنبياء الله تعالى ، ويحرّفون كلام الله عن موضعه ..

ورسول الله عليه الصلاة والسلام بيّن لأمته الأوقات الفاضلة الحَرِيّة باستجاب الدعوات ، و الأزمنة والبقاع المفضّلة من أجل العبادات .. ونهى عن العبادة في أماكن فيها قبور ، وشدّد في الزجر عن إطرائه ، كما تفعل الأمم السابقة ، فضلوا بذلك ، وقال في المرض الذي مات فيه : "لعن الله اليهود والنصارى ، اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا قبري عيداً ، فإني أنهاكم عن ذلك" ، قالت عائشة رضي الله عنها : يحذّر ما صنعوا .

ولما أخبرته بعض نسائه بما رأين في أرض الحبشة في معابدهم وكنائسهم ، قال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله" [متفق عليه]

وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله" .

[رواه البخاري في صحيحه]

وكما هو إخباره عليه الصلاة والسلام ، بأمر من المغيبات التي تأتي آخر الزمان – وهو مما أخبره الله به – بأن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلوه ، قيل : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن" أي من المعنيّ غيرهم .

فإن هذه الأمم قد أطروا أنبياءهم ، وهم يخالفونهم : فاليهود أطروا عزيراً ، و قالوا فيه غلواً : هو ابن الله ، والنصارى أطروا عيسى ابن مريم ، وقالوا فيه : هو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة . فكفر هؤلاء وهؤلاء ، بهذه المقالة ، وبكذبهم على أنبيائهم ، وقولهم على الله غير الحق ، وبغير ذلك من أمور أخبر الله عنها في كتابه الكريم ، و وضّحها محذراً فيها رسول الله ﷺ .

و يأتي بعض من لافقه عندهم ، و لا معرفة يقينيّة بسنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليتّخذوا من شهر ربيع الأول عيداً ، لم يأذن الله به ، ولم يأمر به رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولم يفعله الخلفاء الراشدون ، ولا الصحابة في القرن الأول : ألا وهو الاحتفال بعيد المولد النبوي .. والرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أخبر بأنه لا أعياد في الإسلام ، إلا بعيد الفطر وعيد الأضحى ، حيث أبدل الله ذلك لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، عمّا اخترعته الأمم الأخرى ، من أعياد ابتدعوها ، بغلوّهم وتشدّدهم في رجال منهم ..

و هذا العمل من المحدثات في الدين ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو ردّ" حديث رواه البخاريّ ومسلم وأبو داؤد عن عائشة رضي الله عنها ، يقول تاج الدين الفاكهاني ، وهو من علماء الإسكندرية ، وتوفي بدمشق عام ٧٣٤هـ في رسالته عن المولد : فقد تكرّر سؤال جماعة من المباركين ، عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس

في شهر ربيع الأول ، ويسمونه المولد : هل هو أصل في الشرع ؟ أو هو بدعة ، وحدث في الدين ؟.

و قصدوا البيان في الجواب ، و الإيضاح عنه بالتعيين .. فقلت : وبالله التوفيق .. لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة ، الذين هم القدوة في الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها البطّالون – وهم الفاطميون العبيديون من الباطنيين ، كما نقله المقريزي في خططه ، والقلقشندي في صبح الأعشى وغيرهما – وشهوة نفس اغتني بها الأكّالون ، بدليل أنّا إذا أردنا عليه الأحكام الخمسة ، قلنا : إما أن يكون واجباً ، أو مندوباً ، أو مباحاً ، أو مكروهاً ، أو محرماً .

وهو ليس بواجب إجماعاً ، ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب : ما طلبه الشرع ، من غير ذمّ ، على تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشرع ، ولا فعله الصحابة ، ولا التابعون ، ولا العلماء المتديّنون فيما علمت – وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى ، إن عنه سئلت .. ولا جائز أن يكون مباحاً ، لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين .

فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً .. أو حراماً ، وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين ، والتفرقة بين حالين :

أحدهما : أن يعمله رجل من عين ماله ، لأهله وأصحابه وعياله ، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ، ولا يقترفون شيئاً من الآثام ، فهذا الذي وضعناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذْ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة ، الذين هم فقهاء الإسلام ، و علماء الأنام ، سُرُج الأزمنة ، و زين الأمكنة .

والثاني : أن تدخله الجناية – يريد المنكرات والمعاصي – ، وتقوى به العناية – يقصد أن يطلب ولي الأمر مالاً لإقامته –، حتى يعطى أحدهم الشئ ، ونفسه تتبعه ، وقلبه يؤلمه ويوجهه ، لما يجد من ألم الحيف ، و قد قال

العلماء رحمهم الله : أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف ، لا سيما أن انضاف إلى ذلك شئ من الغناء ، مع البطون الملآي بآلات الباطل ، من الدفوف والشبّابات ، واجتماع الرّجال مع الشبّان المرء ، والنساء الفاتنات ، إما مختلطات بهم ، أو مشرفات ، والرقص بالتّثنى والانعطاف ، والاستغراق في اللهو ، ونسيان يوم المخاف .

وهذا الذي لا يختلف فيه اثنان بأنه محرم ، ولا يستحسنه ذوو المروءة العقلاء ، وإما يحل ذلك بنفوس موتى القلوب وغير المستقلّين من الآثام و الذنوب ، و أزيدك أنهم يرونه من العبادات ، لا من الأمور المحرمات ، فإنّا لله و إنا إليه راجعون .. بدأ الإسلام غريباً ، و سيعود كما بدأ .

وفي ردّ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يرحمه الله على القائلين بأن ترك الاحتفال بالمولد تنقّص للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، قال : إن أراد بقوله هذا : أن ذلك اعتقاد التارك ، فقد كذب و افترى ، و إن أراد أن ذلك ، تنقيص للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم عما يستحقه شرعاً ، فالمرجع في ذلك إلى الكتاب والسنة ، وما عليه القرون المشهود لها بالخير ، فنحاكم كل من يطالبنا بهذا إلى ذلك ، فإن جاء بدليل صحيح صريح ، و إلا فنحن متمسكون بقول النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "كل بدعة ضلالة" وبما روى أبو داؤد في سننه ، عن حذيفة رضي الله عنه ، قال : "كل عبادة لا يتعبّدها أصحاب محمد فلا تعبّدوها ، فإن الأول لم يترك للآخر مقالاً" ، ولا نصون أعراضنا في الدنيا بالتقرب إلى الله تعالى بما لم يشرعه .

وعلى القول : "بأن أكثر ما يقصد من تلك الاحتفالات التي تقام للرؤساء ، إحياء الذكرى" فإن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم قد قال الله في حقّه : ﴿ و رفعنا لك ذكرك ﴾ [الشرح/٤] .. فذكره مرفوع في الأذان والإقامة والخطب والصلوات ، وفي التّشهد والصلاة عليه ، وفي قراءة الحديث ، واتّباع ما جاء به ، فهو أجلّ من أن تكون ذكراه سنوية فقط ،

ولكن الأمر، كما قال السيد رشيد رضا في كتابه : ذكرى المولد النبوي ، قال : إن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا، في طور ضعفهم -أي البشر- في أمر الدين أو الدنيا ، لأن هذا التعظيم لا مشقة فيه على النفس ، فيجعلونه بدلاً مما يجب عليهم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا ، وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم ، و النصح له والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ، ويعتز دينه إن كان رسولاً ، وملكه إن كان ملكاً ، وقد كان السلف الصالح ، أشد ممن بعدهم تعظيماً للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، ثم للخلفاء ، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل .

شدائد الملوك : قال عبد الملك الثعالبي المتوفى عام ٤٢٩هـ في كتابه آداب الملوك : ومعلوم أنه لم يملك الدنيا كملوك بني العباس ، فإن الله أعطاهم مفاتيح الأرض ، وملكهم نواصي الخلق ، حتى حازوا ملك الأكاسرة والقياصرة ، والفراعنة والتبابعة ، و الطراخية وغيرهم من الملوك والجبابرة ، وكانت المحن التي أصابتهم ، والبواهق التي حلّت بهم ، بإزاء ما آتوه من جلائل النّعم ورغائب القسم ، ولو ذكرت جميعها خرجت من رسم الكتاب إلى حدّ الإسهاب ، ولكنني أورد نكتاً فيها عبرة للمعتبر ، وعظة للمستبعد .. فمنها :

محنة المطيع في عام ٣٩٣هـ ، فإنه لما وردت الكتب والأخبار ، بأن الروم غزوا نصيبين وملكوها ، وأحرقوها وخرّبوها ، وقتلوا كثيراً من رجالها ، وسبوا أولادهم ، و ورد طائفة من أهلها ، وأهل ديار ربيعة ، وديار بكر بغداد ، فاستنفروا المسلمين في الجوامع و الأسواق ، وتجمّع منهم خلق ، وكسروا المنابر ، وصاروا إلى دار المطيع ، وحاولوا الهجوم فيها ، واقتلعوا بعض شبابيكها ، وأغلقت الأبواب دونهم .

بعد أن كادوا يصلون إليه ، ويأتون عليه ، وأسمعوه ما كره ، ونسبوه إلى العجز و القعود عما أوجبه الله على الأئمة ، و بعدوا في القول ، إلى كل ما يستقبح و يستشنع ، و وافق ذلك إضافة من بختيار - بهاء

الدولة - وعدولا من وزيره ، إلى طلب المال ، من حيث يقبح و لا يحسن ، فبعث بختيار على أنّ طالب المطيع بمال ، وأوهمه أنه من وراء ثروة وحال ، ودخل عليه من طريق الحاجة إلى الغزو ، وأن ذلك واجب على الإمام .

فقال المطيع : إنما يلزمني الغزو إذا كانت الدنيا في يدي ، وليس لي إلا القوت القاصر عن كفايتي ، وهي في أيديكم ، وأيدي أصحاب الأطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ، ولا شئ مما ينظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هذا الاسم ، الذي يخطب به على منابركم ، وتسكن له دهماء رعيتكم ، فإن أجبتم أن اعتزل اعتزلت .

وترددتْ في ذلك مراسلات خرجتْ إلى طرف من الوعيد ، فالتزم أربعمائة ألف درهم ، باع بها ثيابه وآلاته ، وتعدّى إلى إنقاض داره ، وشاع في مدينة السلام ذلك ، وبين الحواضر والعوامّ ، وحجيج خراسان ، و وفود الأطراف و الأمصار ، أن الخليفة صودر ، فكثرت الشناعة ، و تضاعفت القباحة . [ص/١٦٥-١٦٦]

ومنها محنة المقتدر بالله عام ٣٢٠هـ ، فإنه على جلالة شأنه ، و تظاهر سلطانه ، وانصباب الدنيا عليه ، في مدة أربع وعشرين سنة ، امتحن بمؤنس الخادم ، حتى قتله كما تقتل الكلاب ، وأخذ رأسه ، ونبذت جثته في العراء ، فسلبتْ الفاغَةُ ، ما كان عليها من الثياب ، وغطّت عورته بشئ من الحشيش ، وجاءت امرأة فالتقطت الغالية - نوع من أجود الطيب - التي كانت في سرّته . [ص/١٦٤]

ومنها محنة المعتز بالله ، حين خلع الترك وضربوه وسحبوه ، وهو حافٍ حاسر ، ومع الحرّ الشديد وقت الهاجرة ، وطلب نعالاً يلبسها ، فلم يعطها ، فأرخى سراويله ومشى عليها ، وساموه سوء العذاب ، وهو عطشان مكدود ، فجاء بعض مواليه بماء فيه ثلج ، فحين شربه مات .

[ص/١٦٢]

* * *

صفات الداعية ، وصلتها بنجاح الدعوة

بقلم : الأستاذ محمد رشيد زاهد
أستاذ كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية - جامعة دار المعارف الإسلامية . شيتاغونغ - بنغلاديش

إن من الحقائق الناصعة التي لا تقبل الجدل والنقاش ولا المراء ، أن الدعوة الإسلامية ، هي دعوة عالمية صالحة لكل بيئة و مجتمع ، و لكل عصر ومصر إلى يوم القيامة ، ولها مكانتها وشرفها من نواحٍ متعددة ، فهي رسالة الأنبياء ، و وظيفة المرسلين ، وهي دعوة الخير ، والفضيلة ، والحق والمساواة ، و وسيلة توثيق للعلاقة بين البشر وخالقهم ، و هي كذلك مهمة خلفاء الرسل ، و ورثتهم من العلماء العاملين ، والدعاة الصادقين ، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى ؛ لأن ثمرتها هداية الناس إلى الحق ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، حيث قال تعالى : ﴿ ومَنْ أحسنُ قولاً * ممَّنْ دعا إلى الله * وعمل صالحاً * وقال : إنني من المسلمين ﴾ . [فصلت/٣٣]

والرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، هو الداعي الأول لهذه الدعوة الإسلامية الشاملة ، حيث أرسله داعياً إلى الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي ! إنا أرسلناك شاهداً ومُبشّراً و نذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه * وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب/٤٥-٤٦] ، فالرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم دعا الناس بكتاب الله الخالد ، وبأقواله الحكيمة ، وأعماله النيّرة ، ولقد دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما أمره ربه إلى سبيل الله بالحجة الواضحة البينة ، حيث قال في كتابه الكريم مخاطباً له : ﴿ قُلْ هذه سبيلي * أدعو إلى الله على بصيرة * أنا * ومَنِ اتّبعني * وسبحان الله * وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف/١٠٨] ، ففي هذه الآية الكريمة مدح لصحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،

ومن سار على نهجهم ، وشهادة لهم بأنهم دعاة حق ورشد وفلاح ، وفي هذه كذلك دلالة على أن أصحاب النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإسلام بما يستطيعون في ضوء المناهج ، والأساليب التي بينها القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة المطهرة .

ولابد لهذه الدعوة العظيمة من دعاة أقوياء يتناسبون مع عظمتها وشمولها قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها ، ونورها في أنفس الناس ، وعقولهم ، وضمائرهم ، وبإمكان أي فرد أن يكون مسلماً ، ولكن ليس بإمكان أي فرد أن يكون داعية إلى الإسلام ؛ فالدعوة عمل ، ومنهج ، و طريقة يقوم بها من يقدر عليها ، ومن يرى نفسه أهلاً لها وفق شروط ، وصفات بينها المشتغلون بها ، و العاملون في ميدان الدعوة ، والتربية ، والتعليم بعد دراسة وافية ، وخبرة واسعة .

قبل أن أخوض في الموضوع أود أن أعرف من هو الداعية ؟ وما الفرق بين الداعية ، والواعظ ، والرجل الإكاديمي أو العالم ؟ كما قال حكيم : إذا أردتَ أن تتحدثَ معي ، فعليك أن تحدد مصطلحاتك ، وانطلاقاً من هذا القول ، نقول : الدعاة لغة : قوم يدعون إلى بيعة هدي أو ضلالة ، وأحدهم داعٍ ، ورجل داعية : إذا كان يدعو الناس إلى دين أو بدعة أدخلت (الهاء) فيها ، فقيل : "داعية" للمبالغة (١) .

الداعية : هو ذلك الرجل الذي آمن بفكرة أو بمبدأ إيماناً وثيقاً ، وصدّق به تصديقاً جازماً ، و حمل على كاهله مسئولية الدعوة إلى هذا المبدأ أو إلى هذه الفكرة موطناً نفسه على احتمال الشدائد والأهوال التي قد يتعرض لها ، و هي أمر متوقع ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ الم * أحسب الناس أن يُتركوا * أن يقولوا : آمنا * وهم لا يفتنون ﴾ . [العنكبوت/١-٢]

(١) راجع : مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، العدد الخاص ، عام ١٩٩٠م : ص/١٦٢ .

الواعظ : هو ذلك الرجل الذي قد يعتلي منبرا ، ويعظ الناس ، ويذكرهم بالآخرة ، ويعلمهم معنى الثواب ، والعقاب ، والترغيب ، والترهيب ، وهذا أيضاً ضرب من ضروب الدعوة ، لكن الفرق بينه وبين الداعية أنه لا يرى نفسه ملزماً بالدعوة أو بالأحرى ملزماً بمتابعة دعوته ، الداعية يتابع دعوته ، ويتكبد المشاق في سبيلها ، أما الواعظ فأن يقول كلمته ، ويمضى ، ويقول للناس في الخاتمة : أيها الناس ! هذا هو الداء ، فالتمسوا له الدواء ، فهو غير ملزم بالبحث عن مصدر العلة ، ولا من أين يأتي الدواء ، وقد نجد واعظاً يختلف عن هذا المعنى ، لكنه إذا اختلف عن هذا المعنى ، فقد استحال إلى داعية .

أما الرجل الإكاديمي : فذلك العالم أو الرجل الذي انشغل بدراسة كثير من الجزئيات ، وبدراسة المعاني مجردة عن واقعها ، فهو أيضاً لا يتابع هذه المسائل ، ويكتفى بأن يستنبط كثيراً من المعارف ، ويقدمها لقمه سائغة لمن أرادها ، فهذا الرجل الإكاديمي لا يتابع أيضاً دعوته (١) .

فالداعية الإسلامي لا يتوقف عند مجرد تبليغ الدين الإسلامي ، بل يشمل أبعاداً كثيرة ، فالداعية مبلّغ ، و بائع أفكار ، و مهندس للسلوك البشري ، ونموذج اجتماعي في المسلك ومخطط ، ذو حنكة ومعلم مثالي : إنه عمل شاق و عسير ، و يحتاج إلى أفراد تتوفر فيهم هذه القدرات إلى حدّ كبير ، وحتى تتكامل الرغبة الشخصية ، والقدرة الذاتية مع المعرفة التي تأتي من التعليم والخبرة ، كان إعداد الدعاة مسألة غاية في الجدّية ، وأن تأهيل الداعية للقيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى صفات وشروط يجب أن تتوافر فيمن يتم اختياره ، و إعداده ليكون داعية إلى الإسلام ، وأن

(١) راجع : أعمال الملتقى الثاني ، المنعقد بطرابلس ، عام ١٩٩٨م (ثقافة الداعية) : ص/١٩٣-١٩٤ .

من لا تتوفر فيه هذه الصفات و الشروط لا يستطيع أن يكون داعية ناجحاً في عمله ، مهما درس من كتب ، وتعلّم من وسائل ، وإن كانت هذه الصفات والشروط ضرورية لكل مسلم إلا أن الداعية في حاجة ملحة أن يتحلى بها ، وهي من أساسيات الداعية ، لكي يقوم البنيان على عمد متين .

وصفات الداعية وأخلاقه في الحقيقة ، هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في كتابه ، وفصلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سنته ، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم ، وكما قلت ، وهي لازمة لكل مسلم ، وهنا نذكر بعض تلك الصفات والخصائص التي لها صلة وثيقة بعمل الداعية الناجح ، ويحتاج إليها احتياجاً ملحاً يبلغ حدّ الضرورة إذا أراد النجاح في عمله الطيب المبرور .

أولاً – صلة الداعية بالله :

الداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدي ، وكل هدفه أن يعرف الناس بربهم الخالق ليفوز ، و بسعادة الدنيا و الآخرة ، وعليه ، أولاً أن يمتنّ صلته بالله في يقين وقوة ، ويجعل إيمانه قائماً على التفرغ الكامل لمولاه ، والارتباط المطلق به ، والتوكل الراسخ عليه ، والتسليم التام له ، يأتي به من غير ارتياب أو حرج لتكون الدعوة بذلك نابعة من قوله وفعله .

ثانياً – صلة الداعية بالناس :

وعلى الداعية أن يحسن صلته بالناس فمعهم تكون دعوته ، وبهم ينشرها ، وبهم يتحقق نصرها وفوزها ، وهذه الصلة الاجتماعية ضرورية للداعية ، لأنه أولاً أخ للناس استظهر عليهم بالنصح والتوجيه ، وهو ثانياً محل الثقة ، والنظر لما له من صفات ، ولما ينادى من مبدء ، وهو ثالثاً رائد الجماعة ، وزعيمهم ؛ ولذلك وجب أن يتحلى بصفات تجعله يعيش وسط الناس في فهم وتقدير ، ويتألف معهم في مودة ، ويتحلى بما يضعه في الريادة من غير منازعة وشكوك ، ومن هنا نتحدث عن صلة الداعية بالناس من

جوانب ثلاث ، هي تقدير الناس ، صفات التآلف والمودة ، وصفات القدوة والريادة .

١- تقدير الناس :

الناس جميعاً إخوة ومردهم جميعاً إلى عنصر واحد ، هو آدم أب البشر أجمعين ، وعلى الداعية أن يتيقن ذلك ، ويعمل على أساس ، أنه ليس هناك فرق بين إنسان وإنسان بسبب لونه أو طبيعته أو عنصره ، وإنما التفاوت بشئ خارج عن ذات الشخص ، وعنصره كإيمان ، أو عمل أو ذكاء ، و هو تفاوت لا يمس الإنسانية في شئ ، و قد وضح الله هذه الحقيقة بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ! إنّا خلقناكُمْ من ذكرٍ وّ أُنثى * و جعلناكُمْ شُعُوباً وقبائل لتعارفوا * إن أكرمكُمْ عند الله أتقاكُمْ * إن الله عليم خبير﴾.

[الحجرات/١٣]

إن هذا الفهم عند الداعية يجعله لا يفرق بين إنسان وإنسان في دعوته ، ولا يفرق بينهم بسبب غنى أو حسَب ، أو ما شاكل ذلك ، فلا يدعو القوي تاركاً الضعيف أو يُخصّص غنياً مهملا الفقير أو يقصر دعوته على الرجال دون غيرهم ، وذلك لأن الدعوة عامة للجميع ، وهو المكلف بنشر هداية الله بينهم ، والكل محتاج إليها ، بل إن الضعيف الضال أحوج إليها من سواه ، ولذلك فالاعراض عنه ليس من صفات الداعية المثالي .

٢- صفات المودة والألفة :

الناس بالنسبة للداعية هم مجال دعوته والمحيط الذي يتحرك فيه ؛ ولذلك لزمه أن يكون على وفاق معهم ، وأن يقدّم من نفسه صورة أخلاقية تحقق المودة والتآلف ، و تنزله في موطن الحب ، والتقدير ، ويمكننا أن نشير إلى هذه الصفات فيما يلي :

أ- الصدق والأمانة : الصدق فوق أنه في حد ذاته سلوك سام وصفة راقية ، فهو منبع الثقة وأساس التسليم ، لأن الصادق لا يخالف الواقع ، و كل قوله مسلم لا يحوم حوله شك أو تكذيب ، ولذلك كثرت التنبيهات والتوجيهات في القرآن الكريم ، والحديث النبوي لالتزام الصدق في كل شئ ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! اتقوا الله * و كونوا مع الصادقين ﴾ ، و يقول النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البرّ ، و البرّ يهدى إلى الجنة (١) ، و سئل النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم : أيكون المؤمن جباناً ؟ فقال : نعم ، فقيل : أيكون المؤمن بخيلاً ، فقال : نعم ، فقيل : أيكون المؤمن كذّاباً، فقال : لا (٢)، وإن كان هذا شأن المسلم على إطلاقه ، فما بالك بالداعية الذي هو في أشد الحاجة إلى أن يتبع وبغير الثقة في صدقه لا يكون هناك اتباع ؛ ولذلك كان من الحِكَم الخالدة في رسالة الإسلام أن أهمّ صفة اشتهر بها النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، هي صفة : "الصّادق الأمين" .

ب- الحلم والعفو :

الحلم صفة هامة للداعية تجمع القلوب ، وتذيب الاحن ، وتعطى له قدراً كبيراً من الصلابة في مواجهة أشدّ المواقف وأحلكها ، وهو أول ما يمتحن به الخلق الحسن إذ يقرب القريب ، ويذهب العداوة ، وقال تعالى : ﴿ لا تستوي الحسنة * ولا السّيئة * ادفع بالتي هي أحسن * فإذا الذي بينك وبينه عداوة * كأنّه وليٌّ حميمٌ ﴾ . [فصّلت/٣٤]

فالحلم هو سيد الأخلاق ، وليس هو دليل ضعف أبداً ، بل هو الدليل على القوة ، والمالك لنفسه عند الغضب ، هو القوي في الحقيقة ،

(١) الموطأ للإمام مالك رحمه الله : ج/٤ ، باب ما جاء في الصدق : ص/٢٢٧ .

(٢) الموطأ للإمام مالك رحمه الله : ج/٤ ، باب ما جاء في الصدق والكذب : ص/٢٢٨.

يقول النبي الحبيب صلّى الله عليه وسلّم : "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (١) ، ولضرورة هذه الصفة للداعية أمر الله رسوله بها ، فقال له : ﴿ خُذ العفو * وأمر بالعرف * و أعرض عن الجاهلين ﴾ [مائدة/١٣] ، ﴿ فاعف عنهم واصفح * إن الله يحبُّ المحسنين ﴾ .
[الأعراف/١٤٥]

وعلى الدعاة أن يهتموا بالحلم والعفو ليصلوا إلى غرضهم ، ولا يجعلوا همهم الغضب والانتقام لأن ذلك ينفر المدعوين منهم ، ويقول الشيخ ابن علوي الحداد : على الدعاة أن يكونوا على نهاية من الصبر و الاحتمال وسعة الصدر ، ولين الجانب ، وخفض الجناح ، وحسن التأليف ، و إن دخل عليهم شئ من أذى الجاهلين ، عليهم أن يصبروا ، ويعرضوا ، و يقولوا : خيراً ، لأنهم من عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا : سلاماً ، ويكفى الدعاة أن يتعلموا من توجيهات القرآن الكريم المؤكدة ، نحو الحلم و العفو ، حيث قال تعالى : ﴿ وليعفُوا * و ليصفحُوا * ألاَ تُحبُّون أن يغفر الله لكم * والله غفورٌ رَّحيمٌ ﴾ [النور/٢٢]

ج- التواضع :

ومن صفات الداعية التواضع ، وهو أحد الصفات الأساسية التي تساعد على المعاشرة الحسنة ، لأن المتواضع يعيش مقدراً لنفسه وللناس ، ومقدراً من الآخرين ، ومن هذا المنطق لا يبدو متعالياً ، ولا يكون وضيعاً أبداً ، ويحسّ أن المساواة الأصلية ، هي الروح المسيطرة ، فيألف ، ويؤلف ، ويأنس ، ويؤنس به .

والداعية الذي جعل همه الدعوة إلى الله يجد نفسه ملتزماً بالتواضع ليتمكّن من الناس في طريق الله الذي دعا إليه عباده الصالحين ويتحقق له

(١) الموطأ للإمام مالك رحمه الله : ج/٤ ، باب ما جاء في الغضب : ص/٩٥ .

كل ما وعد الله به من تمتع كامل بالدنيا ، ومن تمتع عظيم بالآخرة ، وقال تعالى : ﴿ تلك الدَّارُ الآخرة * نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض * ولا فساداً * والعاقبةُ للمتَّقين ﴾ .
[قصص/٨٣]

و على الداعية أن يلتزم بالتواضع الكامل ليقرب من الناس ، لأن دعوته في حاجة إلى صلة مستمرة بهم ، وعليه أن يكون قريباً إلى قلوبهم ، وأرواحهم ، والتواضع هو صانع ذلك ، كما بيّنته الحقائق الدينية التي عاشها النبي الحبيب صلّى الله عليه وسلّم تطبيقاً على نفسه ، وتوجيهاً لمن بعده من المؤمنين ، إقرأ هذا الأمر إلى رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ و اخفِضْ جَنَاحَكَ لمن اتَّبَعَكَ منَ المؤمنين ﴾ .
[الشعراء/٢١٥]

ثالثاً - صفات التأثير والقيادة :

الداعية لا يكتفي بالمودة مع الناس ؛ لأنه صاحب رسالة يعمل لنشرها فيهم ، ويهديهم بها ، وذلك لا يتأتى إلا إذا تمتع بشخصية مؤثرة فيها قدرة الجذب النفسي ، ومنها يقبل التوجيه والريادة ، على أن هذه الشخصية لابد أن تمتلك مجموعة من الصفات لتحقق هذه السمات التأثيرية ، والتي منها :

أ- المشاركة الوجدانية :

وهي صفة هامة للداعية تجعله يعيش حياة الناس ليشعر بشعورهم ، و ينفعل مع آرائهم و حياتهم ، و يتداخل في تقاليدهم ، و كافة شئونهم بصدق ، وفهم ، وتحليل ، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلاً عاماً بمعنى توافرها تلقائياً مع الجميع ، لا تفرقه بين غني و فقير ، أو رئيس ومرؤوس ، ورفيع أو وضيع ، لكي يصل بالدعوة إلى الجميع .

إن الدروس المستفادة من فهمه لحقيقة الإنسانية ، ودعوة الإسلام للتعارف تحتم المشاركة الصادقة وجدانياً ، وعقلياً ، وحسياً ، تصنع من الجميع جميعاً، ما يفيدهم ، وينفعهم ، وآيات القرآن تؤكدها، وتحث عليها ،

أنظر قوله تعالى حينما يخاطب القوم بصفة الجماعة ، فإنه لا يفرق بين إنسان و إنسان ، و لا بين مؤمن و مؤمن ، فالخطاب واحد للجميع ، إذ ينادى : ﴿ يا أيها الناس ! ﴾ ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! ﴾ ، وهذا يعلم المشاركة ، بل إن القرآن يعلم الناس أن يكون دعاؤهم لأنفسهم و لغيرهم ، إذ يقول : ﴿ إهدنا الصّراط المستقيم ﴾ ، وهو دعاء في سورة الفاتحة : يقرأه المسلم كل يوم داعياً بصيغة الجماعة إيثاراً لغيره ، وتبرئة لنفسه من الأنانية ، و لأنه شئ يحبه الله ورسوله ، حيث يقول : ﴿ واستغفر لذنبكَ * وللمؤمنين * والمؤمنات ﴾ [الأنفال/١٩] ، ويقول إخباراً عن سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربّنا اغْفر لي * ولوالديّ * وللمؤمنين * يوم يقوم الحساب ﴾ [إبراهيم/٤١]

ويجد الداعية أمامه كذلك صورة النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وتطبيقاته لهذه الصفة ، فلقد كان قبل البعثة ، كما وصفته زوجته خديجة رضي الله عنها : "إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتُقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الحق" (١) ، و كان يشارك قومه أحداثهم الكبرى فساهم في حرب الفجار ، و حلف الفضول ، وبناء الكعبة ، وعاشر الرعاة ، والتجار، والأثرياء ، والكبار ، والصغار ، وكان الجميع يذكرونه ، ويترددون إليه ، فلما بعث عليه السلام تضاعف اهتمامه بالناس ، كما وصفه الله : ﴿ عزيزٌ عليه ما عنتُمْ * حريصٌ عليكم بالمؤمنين * رؤوفٌ رّحيمٌ ﴾ وكان يوالي الناس بالنصح والإرشاد قاصداً نجاتهم وسعادتهم .

ب- العزة و الشجاعة :

هذه صفة أخرى للداعية تساعد على الثقة والقيادة ، وهي صفة تنبئ على تقدير الشخص لنفسه ومهمه لواقع حياته ، واتباعه لتعاليم دينه المؤكدة ، فبذلك يبعد تلقائياً عن الذل و الضعف ، و عن الخوف

(١) الصحيح للإمام البخاري رحمه الله : ج/٩ ، ص/٣٨ ، كتاب التعبير .

والاضطراب ، لأنه يثق في المفاهيم التالية :

أولاً : المؤمن يجب أن يكتسب من إيمانه الثقة ، ويشعر بالتفضيل والكرامة ، لأنه بالإيمان يؤدي ما عليه ، ويترك ما ماعدا ذلك لله الذي يصرف كل شئ : ﴿ وكُلُّ شئ عنده بمقْدار ﴾ ، ثانيا : الخلق كله يقبضه الخالق سبحانه وتعالى ، وبيده وحده النفع والضرر ، وكل الخلق خاضع له ، وما على المؤمنين إلا أن يقصر خوفه على الله ، كما قال تعالى : ﴿ فلا تخافوهم * وخافون * إن كُنتُمْ صادقين ﴾ ، ثالثاً : الأجل و الرزق محدودان تماماً بحيث : ﴿ إذا جاء أجلهم * لا يستأخرون ساعة * ولا يستقدمُون ﴾ [الأعراف/٣٤] ، ﴿ و ما من دابّة في الأرض * إلا على الله رزقُها ﴾ [هود/٦] ، و ما دامت هذه المفاهيم قد ثبتت عن الداعية فما عليه إلا أن يظهر العزة في كل حياته : ﴿ لأن العزة لله * ولرسوله * وللمؤمنين ﴾ . [المنافقون/٨]

ج- الكرم والسخاء :

و هي صفة من أهم صفات الداعية حيث تقرب قلوب النافرة ، وتمهّد العقول للطاعة ، ولذلك كان من أولي الأوامر الأخلاقية للرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم "ولا تمُنن تستكثر" ، ويقول علي كرّم الله وجهه : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أجود الناس كافّة ، ومن المعروف أن الإنسان عبد الإحسان ؛ ولذلك يروى أن رجلاً أتى النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، و سأله ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه مسلماً ، وهو يقول لهم : أسلموا ، فإن محمداً يعطى عطاءً ، لا يخشى الفاقة (١) .

د- الصبر :

الصبر من فروض الإسلام ، وهو نصف الإيمان ، وذكره القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعاً وأمر به : ﴿ واستعينوا بالصّبر و الصلاة ﴾

(١) الدعوة الإسلامية أصولها و وسائلها : د/أحمد أحمد غلوش : ص/٤٦٤ .

فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم : ﴿ واصبر * وما صبرك إلا بالله ﴾ فالصبر ضروري لأي إنسان لا سيما للمسلم ، فإن الصبر للداعية المسلم أشدّ ضرورة له من غيره ؛ لأنه يعمل في ميدانين : ميدان نفسه يجاهدها ، ويحملها على الطاعة ، و يمنعها من المعصية ، و ميدان خارج نفسه ، و هو ميدان الدعوة إلى الله ، و مخاطبة الناس في موضوعها ، فيحتاج إلى قدر كبير من الصبر في المجالين : مجال النفس ، ومجال الدعوة ، حتى يستطيع تجاوز العقبات ، وتحمل الأذى ، فإن فقد الصبر قعد أو انسحب من الميدان ، وحق عليه الحساب وفاته الثواب (١) .

هـ- الرحمة :

ومن صفات الداعية الرحمة ، إن الداعي لابد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة ، والشفقة على الناس ، وإرادة الخير ، والنصح لهم ، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام ؛ لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار ، وفوزهم برضوان الله تعالى فانه يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأعظم ما يحب لنفسه الإيمان والهدى ، فهو يحب ذلك لهم أيضاً ، وجاء في القرآن الكريم : ﴿ فَبِمَا رحمةٍ مِّنَ الله * لِنْتَ لهم * ولَوْ كُنتَ فظاً غليظ القلب * لانفضُّوا من حولكَ ... ﴾ [آل عمران/١٤٩] ، وقال صلّى الله عليه وسلّم : لا يُرحم مَنْ لا يرحم الناس .

و- المخالطة بالناس :

ومن صفات الداعية المخالطة ، فإن الإنسان بطبعه ، لا يستطيع العيش بمفرده ، ولو استطاع لكان أمراً شاذاً ، لا يستطيع جميع الناس متابعته عليه ، هذا في أمور الدنيا، أما بالنسبة لأمور الدين ، فكذلك الحال ، فإن من فرائض الإسلام ومستحباته ما لا يمكن تأديته إلا بالمخالطة مع الناس

(١) المرجع السابق : ص/٤٦٥ .

وتعاونهم ، مثل : صلاة الجمعة ، و العيدين ، و تشييع الجنائز ، و عيادة المرضى ، وتعلم أمور الدين وتعليمها إلى غير ذلك من المطلوبات التي تستلزم المخالطة .

فالداعية له إيمان عميق ، وصلة وطيدة بالله ، وله أخلاق فاضلة ونموذجية ، ويقنع بالإسلام كنظام شامل لكل الفرد والحياة والمجتمع ، وله رغبة كاملة في دعوة الآخرين إليه ، وهي رغبة عقلانية عاطفية بحيث أصبحت هذه الرغبة هدفاً من أهداف حياة الفرد ، لا يرى الداعية نفسه مؤظفاً عند جهة رسمية ، فهو لا ينظر إلى عمله باعتباره وظيفة لها وقت حضور وانصراف ، ولها مكاسب مادية تزيد وتنقص ، الداعية لا يبتغي الأجر إلا من الله ، وهو يعمل لوجه الله ، ويسعى لإرضاء الله ، ولا يسعى لإرضاء رؤسائه أو جهاته التي يعمل لتحقيق أهداف الدعوة ، إن الثقة في النفس تجعل الداعية متفائلاً بالنجاح في مسعاه ، وقادراً على مواجهة الصّعاب ، وخالياً من مشاعر النقص والعجز ، والشك والخيبة ، ويتحلى الداعي بروح المغامرة التي تسعى إلى تحقيق الأحلام ، والداعية في هذا المعنى يشبه الرحالة الذي يغامر في المجهول ، وإن كان أحدهما يسعى إلى اكتشاف الأرض ، ويسعى الآخر إلى زرعها أفكاراً وقيماً .

* * *

وصلّى الله تعالى على خير خلقه
محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

* * *

دراسات في السنة :

جمال البنا وموقفه من السنة

بقلم : الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي (٢)

وأما تهويل عدد الأحاديث بالنظر إلى أعداد الأحاديث المحفوظة لدى أبي زرعة (سبعمائة ألف) ، وعند أحمد (ستمائة وخمسون ألف) ، وعند البخاري (ستمائة ألف) حديث ، وعرضها، إشكاليةٌ لا تُحَلُّ إلا بجعل أكثرها موضوعةً ، ثم اتخاذها تكأةً لرفض جميع الأحاديث أو أكثرها ، كل ذلك بعيد عن الحقيقة ، وناتج عن عدم استيعاب المؤلف وأمثاله طريقة المحدثين في عد الأحاديث ، وعن عدم إدراكهم مفهوم الحديث غير الصحيح عندهم .

لقد ذكر علماء الحديث (١) أن كل إسناد للحديث يُعتبَر حديثاً مستقلاً عند المحدثين ، فإذا كان الحديث الواحد مروياً بعشرين إسناداً – مثلاً – يُعدُّ عشرين حديثاً ، يقول عبد الرحمن بن مهدي [م ١٩٨هـ] : "عندي عن المغيرة بن شعبة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في المسح على الخفين ثلاثة عشر حديثاً" (٢) ، وحديث المغيرة بن شعبة في المسح على الخفين واحد ، كما يعرفه الجميع ، ولكن لما وصل إلى ابن مهدي من ثلاثة عشر سنداً عدّه ثلاثة عشر حديثاً ، وذكر البزار [م ٢٩٢هـ] أنه رواه من نحو ستين طريقاً (٣) ، و توجد أمثلة كثيرة لهذه الحقيقة في صحيح مسلم ،

(١) انظر : دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه –للدكتور محمد مصطفى الأعظمي : ص/٤٨٥-٦٠٢ .

(٢) رواه ابن أبي حاتم بسنده في الجرح والتعديل : ٢٦١/١ .

(٣) ذكره الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر : ص/٦١ .

وصحيح ابن خزيمة ، والتمهيد للإمام مسلم ، والسنن الكبرى للبيهقي ، بجانب إطلاق العلماء كلمة : "الحديث" على آثار الصحابة والتابعين أيضاً .

فبعد ملاحظة هاتين الحقيقتين (أي عد الحديث الواحد عدة أحاديث حسب عدد أسانيده ، وإطلاق الحديث على آثار الصحابة والتابعين) لا تهويل ، ولا استحالة ، خاصة إذا كان الصحابي أو التابعي أو من بعده كثير الشيوخ والتلاميذ مثل أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الصحابة ، والزهري والثوري وشعبة وأمثالهم من التابعين وغيرهم .

وليس معنى قول البخاري – مثلاً – في حديث : "حديث غير صحيح" أنه موضوع لا محالة ؛ لأن الحديث الواحد قد يكون صحيحاً بسند ، وضعيفاً بسند آخر ، وأما اصطلاح "حسن لغيره" فهو لم يكن قبل ابن الصلاح (ت٦٤٦هـ) ، ولإثبات هذه الحقيقة ، وتفنيد شبهة المستشرقين تلك ، قد قام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بدراسة" نسخة سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة" المحكوم عليها كلها بأنها نسخة موضوعة ، وهي متضمنة تسعةً وأربعين حديثاً ، مع أن ربع أحاديثها مخرَّج في الصحيحين ، و كتب أخرى معتمدة عند المحدثين فثبت من ذلك أن الحديث قد يكون صحيحاً بسند ، وضعيفاً بسند آخر ، ويعدان حديثين .

ثم إن الإمام البخاري لم يدع ، ولا قصد استقصاء جميع الأحاديث الصحيحة ، وإيداعها في صحيحه ، حتى يتسنى لأمثال الأستاذ البنا أن يقول : إنه لم يجد أكثر من حديث واحد في كل مائتين من محفوظاته .

رابعاً : يرى المؤلف أن معايير المحدثين في الحكم على الرجال والأحاديث ذاتية فردية ، بمعنى أن كل فروضها وقواعدها تقوم على أسس فردية اجتهادية ، سواء في وضعها ، أو في تطبيقها ، وأنها لا تصدق عليها صفة الموضوعية ، ولذلك اتسمت الأحكام على الرجال والأحاديث

بالتضارب والتعدد و التنافر و الاختلاف ، وبناءً على ذلك كله تخلص المؤلف من إشكالية السند ورجاله في حكمه على الأحاديث ، فلا اعتبار عنده للسند و تجريحات الرجال و توثيقاتهم ، ولا عنده خبر متواتر وآحاد ، ولا أقسام أخرى من الغريب والعزيز والمشهور ، ولا المعلق والمرسل والمعضل والمنقطع و المدلس و المعلل وغيرها من الأقسام المتفرعة عن حالات السند وأحوال الرجال ، ولا صحيح و حسن ، ولا ضعيف وموضوع ، وإنما السنة عنده سنة مجردة عن تلك الإشكاليات ، وهي عنده بالنظر إلى المتن أما صحيحة إن وافقت القرآن ، أو غير صحيحة إن خالفت القرآن ، هذا ما ركز عليه المؤلف في طول الكتاب و عرضه ، و دعا إليه بكل حماس وشدة.

إن دعوى المؤلف بذاتية أو فردية تلك المعايير وضعاً ، دعوى بعيدة عن الحق والحقيقة كل البعد ؛ لأنها لم يضعها فرد واحد ، وإنما تم وضعها بالإجماع ممن لهم حق ذلك ، وهم أئمة الحديث ، وبلغة العصر أهل الاختصاص الذين أفنوا أعمارهم في هذا الحقل ، و وضعوها في ضوء القرآن والسنة والعرف ، وبعد تمحيص شديد ، وبكل إخلاص و ورع وتقوى .

وذلك لأن المعايير التي وضعها المحدثون بالإجماع للحكم على الرجال هي : أن يكون الراوي عدلاً، أي أن يكون مسلماً عاقلاً، بالغاً، سليماً من أسباب الفسق ، وخوارم المروءة ، وأن يكون ضابطاً ضبط صدر أو ضبط كتاب ، ولما كانت العدالة و الضبط صفتين تتعرضان – طبيعياً – للزيادة والنقصان تأثراً بعوامل داخلية أو خارجية ، تفرعت عنه درجات الرواة ومراتبهم تبعاً لكل حالة من حالات الزيادة والنقصان .

وكذلك معايير المحدثين للحكم على الأحاديث أيضاً ليست فردية وذاتية ، بل وضعها المحدثون بالاتفاق فيما بينهم ، وذلك لأن معايير صحة الحديث هي : أن يكون الحديث متصل السند بأن أخذه كل راو من رواة

ذلك الحديث من شيخه مباشرة ، وأن يكونوا عدولاً ، وكاملي الضبط ، وأن يكون سنده ومتنه خاليين من الشذوذ و العلة ، وإذا خف ضبط أحدهم أو بعضهم أو جميعهم من ضبط رواة الحديث الصحيح ، فالحديث حسن مع توافر الشروط الأربعة الأخرى ، وإذا اختل أحد تلك الشروط الخمسة فالحديث غير صحيح أو غير حسن .

فأية ذاتية ، أو أية فردية ترى في هاتين المجموعتين من المعايير وضعاً يا ترى !!

وأما دعوى المؤلف بكون تلك المعايير ذاتية التطبيق فهي أيضاً ليست صحيحة بهذا الإطلاق الذي ادعاه المؤلف ، وذلك لأن إماماً من أئمة الجرح والتعديل عند ما يأتي ليحكم على راو من الرواة بالتوثيق أو التجريح ينظر ، هل تتوافر فيه صفتا العدالة والضبط أم لا ؟ فإذا وجد انهما متوافرتان فيه ، فينظر ثانيةً بأية نسبة هما متوافرتان فيه ، و بعد تأكده من ذلك كله يحاول أن يختار من ألفاظ الجرح أو التعديل ما هو يكون تعبيراً صادقاً للحالة الواقعية فيه ، فيقول مثلاً : أوثق الناس (بأفعل التفضيل) و ما شابه ذلك ، أو ثقة ثقة ، أو ثقة ثبت (بتكرير الصفة لفظاً أو معنىً) ، أو بإفراد صفة مثل : ثقة ، ومتقن ، ثبت ، عدل ، وهكذا بلغت مراتب الرواة حسب تقسيم الحافظ ابن حجر اثنتي عشرة مرتبة .

ربما يختلج في أذهان بعض الناس سؤال : مَن مِن الناس يصدر الحكم على الرجال ؟ وما هي وسائله لمعرفة عدالة الراوي وضبطه ؟

أما "من يصدر ذلك الحكم ؟" فمن الطبيعي أن لا يكون ذلك الشخص رجلاً عادياً ، بل يكون متصفاً بصفات أهلته لذلك ، وهي كما ذكرها العلماء :

١– أن يكون إماماً في الحديث .

٢- وعالماً بأكبر قدر ممكن من الأحاديث وطرقها وشواهدها .

٣- ومتصفاً بأعلى مراتب العدالة والضبط بشهادة الآخرين له بذلك .

٤- وعالماً بأسباب الجرح والتعديل .

٥- مخلصاً في تعديله وتجريحه .

٦- و لا يكون الجرح أو التعديل قد صدر عنه عداءً و منافرةً ، أو محاباةً ومجاملةً ، أو غير ذلك من الدواعي العاطفية .

وأما وسائله لمعرفة عدالة الراوي ، فهي :

١- مشاهدته إياه ، وعدم تجربته عليه بما يخرم عدالته ، هذا إن كان الجارح أو المعدل معاصراً له .

٢- شهرة الراوي بين أهل العلم بالعدالة ، والخير والثناء الجميل ، هذا إذا لم يكن الجارح أو المعدل معاصراً له .

وأما وسائل معرفة ضبطه ، فهي :

١- اختباره الشخصي لضبط ذلك الراوي ، هذا إذا كان معاصراً له .

٢- موافقة الثقات المتقنين الضابطين من زملائه لروايته إذا قورن بين روايته و روايتهم ، فإذا وافقه في روايتهم غالباً ؛ و لو من حيث المعنى ، فيحكم عليه ذلك الإمام بأنه ضابط ، و لا تضر مخالفته النادرة ، فإن كثرت مخالفته لهم ، وندرت الموافقة فمعنى ذلك أنه اختل ضبطه ، فيحكم عليه ذلك الإمام بما يليق بحاله ، هذا إذا لم يكن معاصراً له .

ربما يقول أحد : إن الأمر إذن ينتهي في آخر الأمر إلى اجتهاد الإمام المعاصر أو غير المعاصر ، وكلاهما فرد ، فصدقت دعوى المؤلف بفردية معايير المحدثين .

نعم : يجوز له أن يقول ذلك ، ولكن نحن نرجع ونسأل : وهل هناك طريقة أخرى لمعرفة عدالة الراوي وضبطه غير ما اتبعها المحدثون ، فما

هي ؟ أم لا توجد في عالم التعامل بين الناس حالات إيمان وكفر ، ونفاق وبدعة ، وحالات عقل وجنون واختلاط ، وحالات بلوغ وتمييز وصبا ورذالة العمر ، وحالات تقوى وفسق ، وحالات وقار وحشمة ، وابتذال وارتذال ، وحالات قوة الذاكرة وضعفها ، وحالات نسيان وخطأ و وهم وغلط ، حتى نتخلص من إشكاليات هذه الحالات غير المنضبطة ، وهل هذا التخلص يعتبر تعاملاً سليماً مع واقع الحياة ، أم فراراً منه ، أو إنكاراً للحقيقة !!؟ وهذا ما يفعله القاضي عند تطبيقه قوانين العدالة وتنفيذها ، محاولاً الوصول إلى الحق قدر المستطاع .

خامساً : فر المؤلف من ذلك الواقع الذي وصفه بالذاتية والفردية ، واقترح أن ندرس السنة دراسة موضوعية منهجية ، بأسلوب علمي عميق دقيق .. يقوم على معالم واضحة وخطوات ثابتة ، لا تَتْرُك للأهواء ، ولا للآراء الفردية سبيلاً لتعبث بها ، ثم جاء بذلك المنهج العلمي العميق الدقيق ، و هو "عرض السنة التي هي ظنية كلها على القرآن الكريم الذي هو قطعي كله" ، وقصد المؤلف بالظني والقطعي ، ظني الدلالة ، وقطعي الدلالة ، لا ظني الثبوت وقطعي الثبوت ، كما يدل عليه جميع كلامه وتحليلاته التي كتبها بعده .

قد قام الأخ نعمان جغيم بالرد على هذه النقطة أحسن الرد ، نقدم لكم اقتباساً من مراجعته ، يقول بالنسبة للدعوى الأولى (المنهج العلمي العميق الدقيق .. إلخ) : من يضع هذا المنهج ويحدد معالمه ، ويختمه بختم العلمية والدقة والعمق ، والتجرد عن الأهواء والآراء الفردية ، ويثبت لمخالفيه اتصافه بهذه السمات فيلزمهم به .. ولكن بشرط أن يعطي المحدثين [حق النقض "الفيتو"] حق وصف منهجه بالذاتية والتحكم وغيرها من الأوصاف إذا لم يعجبهم ، ولم يقتنعوا به .." ، وتلبع الأخ نعمان قائلاً : "إن

الدعوة إلى أن يعتمد علم الحديث على منهج موضوعي دقيق مثل الرياضيات دعوة غير معقولة أصلاً ، وهي دعوة تهمل حقيقة أن مناهج البحث في العلوم الإنسانية بجميع فروعها مناهج يستحيل تجريدها تجريداً كاملاً من عنصري الظنية والذاتية ، وغاية ما يطمح إليه فيها هو تقليص هذه العوامل إلى أدنى حد ممكن ، لا أكثر" .

وبالنسبة للدعوى الثانية (القرآن قطعي الدلالة ، والسنة ظنية الدلالة) ، يقول الأخ نعمان : "من أين للمؤلف أن يزعم أن القرآن كله قطعي الدلالة ، إذ الواقع أن كثيراً من آيات الأحكام ظنية الدلالة ، وقد اختلف فيها العلماء اختلافاً طويلاً ، فأين القطعي الذي ستعرض عليه السنن ؟ فالأمر لن يعدو عرض ظني على ظني .. وهب أننا سلمنا باعتماد العرض على القرآن الكريم المعيار الوحيد للحكم على الأحاديث ، فهل سنتخلص بذلك من عنصري الذاتية والظنية ؟ إننا سنجد أنفسنا أمام ثلاث حالات للسنن : سنن سنتفق على موافقتها للقرآن فنقبلها ، وسنن سنتفق على مخالفتها للقرآن فنرفضها ، ولكن الغالب الأعم من السنن سنختلف في كونها موافقة أو مخالفة للقرآن ، وستتعدد الأفهام بتعدد العقول ، وسنقع مرة أخرى في ذاتية الفهم وظنيته بشكل أوسع مما كان في المنهج التقليدي .. ففهم من سنرجح ؟ وعقل من سنعتمد معياراً لمعرفة الرأي الأصوب ؟ خاصة إذا أخذنا في الحسبان عدم وجود شئ اسمه العقل المجرد ، وأننا لسنا أمام عقل واحد ، بل أمام عقول تتعدد بتعدد الأشخاص ، وتختلف باختلاف المشارب والعوامل المكونة لها ، ألا نصير أمام فوضى لا نهاية لها ، حيث يصبح معها لكل واحد مذهب خاص به؟" .

ما أصدق ما قال الأخ نعمان !!، فقد وقع المؤلف في هذه الفوضى حيث رفض الأحاديث في أسباب النزول ، وقبل الحديث الذي ورد في

سبب نزول آية : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ * فتبينوا ﴾ ، ورفض الأحاديث عن المغيبات بدءاً بالموت ، ومروراً بالفتن وعذاب القبر ، ونهاية بالدخول في الجنة أو النار ، وقبل حديث : "يدرس الإسلام كما يدرس الثوب" ، وحديث : "سيفشو عني الحديث .." ، وحديث : "لتتبعن سنن من قبلكم .." ، بل ادعى المؤلف نفسه علم الغيب لنفسه في مقدمة كتابه هذا حيث يقول : "لما كنت أعلم أن السنة ستكون أهم فصول هذا الكتاب .." ، ويقول : "لما كنت أعلم أن الكتاب سيتعرض لردود تقليدية من الفقهاء فقد لزم الرد عليها .. ومع أنني رددت على هذه الدفوع لمعرفتي بها مقدماً" .

والحقيقة أنه إن كان التوقع بما سيقع في المستقبل القريب أو البعيد بالنظر إلى مجريات الأمور يسمى علم الغيب ، فكلنا نعرف علم الغيب ، حتى المؤلف كما ثبت ، بل إنه أمر طبيعي يدل على بصيرة المتوقع ، وبعد نظره ، وعمق غوره ، ولكن إذا صدر ذلك التوقع من النبي ، فهو متيقن الوقوع لأنه عن وحي من الله ، بينما توقع غير النبي محتمل الوقوع ، لأنه عن حدس وحسبان ، ثم إن الخبر بما سيقع في المستقبل بدون تحديد الوقت ، واليوم ، والتاريخ لا يخرجه من حيز الغيب ، كما توهم المؤلف ، وإنما يبقى غيباً مستوراً ، لا يعلمه إلا الله .

وإليكم نماذج أخرى لفوضوية منهج المؤلف "الدقيق العميق" :

حديث : "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" رفضه الدكتور إسماعيل منصور بهزه الحكم الشرعي المحكم : ﴿ فمَن اعتدى عليكم * فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ ، و أنه يعارض النص القرآني : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * فأصلحوا بينهما * فإن بغت إحداهما على الأخرى * فقاتلوا التي تبغي .. ﴾ فضلاً عما يثيره الحديث من شك في الصحابة الذين اشتجرت سيوفهم ، هذا ما قاله الدكتور إسماعيل

منصور قاله معتمداً على المعيار القرآني ، ولكن المؤلف نفسه رد عليه بالجمع بين الحديث والآيتين ، وهو موفق فيه ، وهذا ما قام به المحدثون في الأحاديث الصحيحة سنداً ، والمتعارضة مع القرآن ظاهراً ، والمؤلف قد ندد بهم ، وبمعيارهم .

وحديث : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده .." رفضه أناس على أساس أنه يثير الفوضى والبلبلة ، ويشجع المتطرفين ، بينما عده المؤلف من غرر الأحاديث ؛ لأنه في نظر المؤلف يمثل قوة التكافل في المجتمع الإسلامي ، فهذا فهم ، وذاك فهم ، ومن على الحق ؟!!.

وحديث : "إذا استيقظ أحدكم من منامه ، فلا يغمسن يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ، فإنه لا يدري أين باتت يده" استبعده بعض المعاصرين [قلت : و قبله فقد رفضته عائشة رضي الله عنها بقولها : فماذا نصنع بالمهراس ، يا أبا هريرة ؟!]، وأما المؤلف فعده من التورية الحكيمة وغرر الكلم النبوي .

وحديث : "إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو حرص عليه" استبعده الدكتور عبد الحميد متولي لمنافاته لممارسات الديمقراطية التي تقوم على ترشيح بعض الناس لأنفسهم ليكونوا نواباً ، في حين قبله المؤلف ؛ لأن مبدأ الحديث من أعمق المبادئ ملحظاً ، وأكثرها لمساً لمداخل النفوس .

و من أمثلة تخبط المؤلف أنه بعد تقسيم السنة إلى : عبادية ، و حياتية ، وسياسية ، قال : إن السنة السياسية يمكن أن تأخذ صفة التأييد على ممر العصور ، علق عليه الأخ نعمان : إن المؤلف ينظر إلى السنة بالمقلوب ، فالسنة السياسية التي تكون عادة أكثر تفاعلاً مع عوامل الزمان والمكان ، وتأثراً بالأوضاع ، هي أولى بأن لا تكون ملزمة ، وأي تأثير للزمان والمكان ، والأوضاع على أحكام الصلاة ، والصيام ، والحج ، وغيرها من الأحكام ، وله مفارقات أخرى .

[للحديث بقية]

وقفة مع :
زواج النبي الكريم بأمهات المؤمنين

(٢/الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(جمهورية مصر العربية)

٧- السيدة أم حبيبة "رملة بنت أبي سفيان" :لقد تزوج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ببعض النسوة لحكمة سياسية من أجل تأليف القلوب عليه ، وجمع القبائل حوله ، وهذا أمر طبعي حيث إن أي إنسان إذا ما تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبين هؤلاء القوم قرابة وبطبيعة الحال يفرض عليهم نصرته وحمايته .

وزواج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة كان لحكمة شبيهة بهذا المضمون إذ أن أباها هو أبو سفيان بن حرب ، وكان ذلك الحين حامل لواء الشرك وألد الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلمت أم حبيبة في مكة ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك مات زوجها ؛ فبقيت وحيدة فريدة لا معين لها ولا أنيس ، فلما علم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأمرها أرسل إلى "النجاشي" ملك الحبشة ليزوجه إياها ، فأبلغها النجاشي ذلك فسرت سروراً لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه ؛ لأنها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لأجبروها على الكفر والردة ، أو عذبوها عذاباً شديداً .. و قد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة ، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم .

ولما بلغ "أبا سفيان" الخبر أقر ذلك الزواج ، وقال : هو الفحل لا يقدع أنفه ، فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له إلى أن هداه الله تعالى للإسلام .

و من هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في تزوجه عليه السلام بابنة أبي سفيان ، فقد كان هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عنه ، وعن أصحابه المسلمين لا سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة مع أن أبا سفيان ، كان وقت ذلك من ألد بني أمية خصومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أشدهم عداء له وللمسلمين ، فكان تزوجه بابنته سبباً لتأليف قلبه ، وقلب قومه وعشيرته ، كما أنه صلى الله عليه وسلم اختارها لنفسه تكريماً لها على إيمانها ؛ فما أكرمها من سياسة ! وما أجلها من حكمة ! (١) .

٨- السيدة جويرة بنت الحارث بن ضرار : هي "أرملة مسافع بن صفوان" الذي قتل في غزوة بنى المصطلق ، و كان من ألد أعداء الإسلام ، و أكثرهم خصومة للرسول ، و في أثناء تلك المعركة وقعت جويرة في الأسر مع من أسر من قومها ، فأرادت أن تفتدى نفسها ، فجاءت إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تستعينه بشئ من المال ؛ فعرض عليها الرسول عليه السلام أن يدفع عنها الفداء ، و أن يتزوج بها ، فقبلت ذلك ؛ فتزوجها لحكمة : وهي أن يجعل المسلمين يمنون على النساء السبايا بالحرية .

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء بني المصطلق ، فأخرج الخمس منه ، ثم قسمه بين الناس ؛ فأعطى الفرس سهمين ، والرجل سهماً ، فوقعت "جويرة بنت الحارث" في سهم ثابت بن قيس ، فجاءت إلى الرسول ؛ فقالت :يا رسول الله ! أنا جويرة بنت الحارث سيد قومه ، و قد أصابني من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعني على فكاكي ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو خير من ذلك ؟ فقالت : ما هو ؟ فقال : أؤدي عنك كتابتك و أتزوجك ، فقالت : نعم ، يا رسول الله ! فقال رسول الله : قد فعلت .

(١) المرجع السابق : ص/٣٠-٣٢ .

وخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترقون ؟ فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم ، فلما رأى بنو المصلطق هذا النبل والسمو وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعاً ، ودخلوا في دين الله ، وأصبحوا من المؤمنين .

وبذلك كانت جويرة أيمن امرأة على قومها حيث اعتق في زواجها مائة أهل بيت من بنى المصطلق وباسلامها أسلم الجميع ، فجزاها الله عنهم خيراً (١) .

٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب : ولحكمة قريبة من حكمة تزوجه عليه السلام من السيدة جويرة بنت الحارث ، تزوج السيدة صفية ، فقد كانت سيدة بنى قريظة وأسرت مع من أسر بعد قتل زوجها في غزوة خيبر ، و وقعت في سهم بعض المسلمين .. فجئ بها إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ فخيرها بين أمرين : إما أن يعتقها ويتزوجها أو يطلق سراحها ؛ فتلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها و تكون زوجة له ، و ذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته وحسن معاملته ، فأسلمت وأسلم بإسلامها نفر كثير من بني قومها .

١٠ السيدة زينب بنت جحش : تزوجها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأمر من السماء لحكمة تشريعية ، وهي إبطال "بدعة التبنى" التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام ، فقد كان ديناً متوارثاً عندهم يأتي الرجل منهم ، فيتبنى ولداً ليس من صلبه ، و يجعله في حكم الولد الصلبي ، و يتخذه ابناً حقيقياً له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال : في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ، ومحرمات النكاح إلى غير ذلك مما تعارفوا عليه ، وكان ديناً متبعاً في الجاهلية .

(١) سيرة ابن هشام : ٢١٨/٢ بتصرف ، ط/مكتبة شباب الأزهر .

وما كان الإسلام ليقرهم على باطل ، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجهالة ؛ فمهد لذلك بأن ألهم رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبنى أحد الأبناء ، وكان ذلك قبل البعثة النبوية ؛ فتبنى عليه السلام "زيد بن حارثة" على عادة العرب قبل الإسلام ، وأصبح الناس يدعونه "زيد بن محمد" ، حتى نزل القرآن الكريم : ﴿ ادعوهم لآبائهم * هو أقسط عند الله ﴾ [الأحزاب/٥] ، فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "أنت زيد بن حارث ابن شراحيل" (١) . [متفق عليه]

بلغ الفتى أشده واستوى فرغب سيده أن يزوجه كريمة من كرائم العرب لتكون له في الحياة سنداً وظهيراً ، ويبالغ النبي في تكريم زيد ؛ فيتقدم إلى "زينب بنت جحش" ابنة عمته "أميمة بنت عبد المطلب" ؛ فيخطبها لمولاه مكافأة له على صدق إيمانه ، ولكن "عبد الله بن جحش" يأبى ويأنف أن يزوج زيداً وتشاركه أخته زينب إباءه وأنفته ضناً بنسبها العربي الكريم ، ولكن .. ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة * إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب/٣٦] ، فلا يصح لرجل و لا امرأة اختيار أمر من الأمور يخالف ما قضاه الله ، ثم بلغه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، إذن فليرض عبد الله ، ولتخضع زينب لقضاء الله ورسوله ، وليسعدوا بزواج يخلد الله شأنه في كتابه الكريم .

عاش زيد وزينب معيشة زوجين هانئين بما وفقهما الله إليه ، وأرضى لهما من حبال السعادة ، ورفه لهما في العيش ، ومدّ من أسباب الرضا ، وبعد حين .. أراد الله أن تقع الواقعة سنّاً للشرائع ، وإيضاحاً لأمور الدين ، وتبياناً للعالمين ، وتصحيحاً لأوهام الناس ، ولحكمة يريدها الله طلق زيد

(١) الشيخ محمد علي الصابوني : شبهات وأباطيل ، حول تعدد زوجات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ص/١٩-٢١ .

زينب ، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة "التبنى" ، ويقيم أسس الإسلام ، ويأتي على الجاهلية من قواعدها .

و هل يقدم على مخالفة مألوف العرب ، و تحطيم أغلالهم ، ونبذ خرافاتهم إلا رجل ملك الإيمان نفسه ، و ملأ الحق قلبه ، وخالطت الجرأة منه العصب ، والدم ، والمسامع ، والأطراف ، وتغلغلت الشجاعة الخلقية ، فوصلت منه إلى اللب و الشغاف ؟ و هل يسمو بشر إلى تلك المنزلة الكريمة سمو النبى الكريم ؟ (١) .

و لكنه عليه السلام كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار أن يتكلوا فيه ، ويقولون : تزوج محمد امرأة ابنه ، فكان يتباطأ ، حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله عليه السلام في قوله جلّ وعلا : ﴿ و تخشى الناس * والله أحق أن تخشاه * فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها * لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم * إذا قضوا منهن وطراً * وكان أمر الله مفعولاً ﴾ . [الأحزاب/٣٧]

وبزواج النبى عليه السلام من زينب انتهى حكم التبني ، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية ، و كانت ديناً تقليدياً لا محيد عنه ، ونزل قوله تعالى مؤكداً هذا التشريع الإلهي الجديد : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم * ولكن رسول الله * وخاتم النبيين * وكان الله بكل شئ عليماً ﴾ [الأحزاب/٤٠] (٢) .

وهكذا كان هذا الزواج للتشريع ، كما كان بأمر الحكيم العليم سبحانه وتعالى مما جعل زينب تفخر على باقي أزواج النبي الطاهرات ، إذ

(١) محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن الكريم : ص/٤٦٠-٤٦١ ، [ط/٢] ، الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ .

(٢) الشيخ الصابوني : شبهات وأباطيل : ص/٢١-٢٣ بتصرف .

كانت تقول لهن : زوجكن أهاليكن ، و زوجني الله من فوق سبع سماوات .
[رواه البخاري]

و هنا يحلو لبعض المغرضين الحاقدين على الإسلام ، و على نبي الإسلام من المستشرقين الماكرين ، وأذنابهم المارقين أن يتخذوا من قصة تزوج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بزينب منفذاً للطعن في النبي الطاهر الزكي ، و يلفقوا الأباطيل بسبب بعض الروايات الإسرائيلية التي دست في بعض كتب التفسير ، و هي روايات باطلة لم يصح فيها شئ ، كما قال "أبو بكر بن العربي" رحمه الله (١) .

فلقد زعموا - وبئسما زعموا - أن محمداً صلى الله عليه وسلم مرّ ببيت زيد ، وهو غائب ؛ فرأى زينب ؛ فأحبها ، و وقعت في قلبه ، فقال : سبحان مقلب القلوب ، فسمعت زينب ذلك ، فلما جاء زوجها أخبرته بما سمعت من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فعلم أنها وقعت في نفسه ، فأتى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يريد طلاقها ، فقال له : أمسك عليك أهلك ، في قلبه غير ذلك ؛ فطلقها زيد من أجل أن يتزوج بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

ويقول ابن العربي في تفسيره "أحكام القرآن" رداً على هذه الدعوى الأثيمة : فأما قولهم : إن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رآها ، فوقعت في قلبه ؛ فباطل ؛ لأنه كان معها كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف ينشأ معها ، ويلحظها في كل ساعة ، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج ، قد وهبته نفسها ؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة ، وقد قال الله له : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم * زهرة الحياة الدنيا * لنفتنهم فيه ﴾ . [طه/١٣١]

(١) الشيخ الصابوني : النبوة والأنبياء : ص/٩٤-٩٧ ؛ فراجعه تجد تفصيلاً .

و قد تعقب ابن العربي رحمه الله في تفسيره لتلك الروايات الإسرائيلية ، وبين أنها كلها ساقطة الأسانيد .

كما تناول فضيلة الشيخ محمد حجازي رحمه الله هذه الشبهات بالتفنيد في تفسيره الواضح ، إذ يقول : ومن المؤسف أن يندس في كتب التفسير أقوال تنسب إلى أكابر العلماء ، والله يعلم أنهم منها برآء أو هي في الواقع سموم إسرائيلية وضعها من أسلم من اليهود عن حسن قصد أو سوء نية ، علاوة على أنها أمور لا تليق بأي رجل عادي ، فضلاً عن أشرف الخلق المشهود له من كافة الناس أنه رجل صادق ذو خلق حميد .

ونظرة يسيرة إلى تاريخ زينب وظروفها في زواج زيد تجعلنا نؤمن بأن سوء العشرة التي كانت بين زينب وزيد ، إنما هو من اختلافهما اختلافاً بيناً في الحالة الاجتماعية ؛ فزينب شريفة ، و زيد كان بالأمس عبداً ، وقد أراد الله امتحانها بزواج زيد لتحطيم مبدأ العصبية القبلية ، والشرف الجاهلي ، وجعل الشرف في "الإسلام والتقوى" ، فخضعت زينب مكرهة ، وأسلمت لزيد جسدها دون روحها ، فكان الألم والضيق .

ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يعرف زينب من الصغر ؛ لأنها ابنة عمته ؛ فمن كان يمنعها عنه ؟ وكيف يقدم إنسان إمراة لشخص ، وهي بكر حتى إذا تزوجها ، وصارت ثيباً رغب فيها ؟

لا ، يا قوم ! تعقلوا ما تقولون ، وتفهموا الحق لوجه الحق تدركوه بلا تلبيس ولا تشويش .

ولكن الحق هو أن هذا الزواج كان امتحاناً في أوله لزينب ، وأخيها حيث أكرههما على قبول زيد ، وفي النهاية كان امتحاناً قاسياً للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حيث يؤمر به ، ويعلم نهايته ، وزينب تحت مولاه زيد ، والحكمة كما نطق القرآن الكريم هي تحطيم مبدأ كان معمولاً به ، و مشهوراً عند العرب ، هو : "تحريم زواج امرأة الابن من التبنى كتحريمها

إذا كان الابن من النسب : ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم * إذا قَضَوا منهنّ وطراً ﴾ [الأحزاب/٣٧] (١) .

هذا ، وقد يزعم بعض الأفاكين أن العتاب في الآية : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه *و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك * واتق الله * وتخفي في نفسك ما الله مبديه * وتخشى الناس * والله أحق أن تخشاه ﴾ [الأحزاب/٣٧] كان لكتمان حب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لزينب .. ﴿ إن يقولون إلا كذباً ﴾ .

فقولهم مردود عليهم نظراً ؛ لأن الآية صريحة كل الصراحة و واضحة كل الوضوح في هذا الشأن ، فقد ذكرت الآية الكريمة أن الله سيظهر ما أخفاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ﴿ و تخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ فماذا أظهر الله تعالى ؟ هل أظهر حب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أو عشقه لزينب ؟ كلا ! ثم كلا .. إنما الذي أظهره هو رغبته عليه السلام في تنفيذ أمر الله بالزواج بها لإبطال حكم التبنّى ، ولكنه كان يخشى من ألسنة المنافقين أن يقولوا : تزوج محمد حليلة ابنه ، ولهذا صرح الباري جلّ وعلا بهذا الذي أخفاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ﴿ فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها * لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴾ [الأحزاب/٣٧] (٢) .

من هنا ، فالذي كان يكتمه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في نفسه هو تأذيه من هذا الزواج ، وتراخيه في إنفاذ أمر الله به خوفاً من لفظ الناس ، وبخاصة المنافقين عند ما يجدون نظام التبنى قد انهار بعد ما ألفوه ؛ ولهذا

(١) د/محمد محمود حجازي : التفسير الواضح : ج/٢٢ ، ص/١٢ بتصرف يسير .
(٢) الشيخ الصابوني : النبوة والأنبياء : ص/٩٧ بتصرف .

فقط عوتب عليه الصلاة والسلام (١) .

و هكذا تبطل مزاعم المفترين أمام الحجج الدامغة ، و البراهين الساطعة التي تدل على عصمة سيد المرسلين ، وعلى نزاهته وطهارته مما ألصقه به الدساسون المغرضون .

١١- السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية : وهي آخر أزواجه صلوات الله عليه ، ولحكمة شبيهة كل الشبه بزواجه عليه السلام من السيدة زينب بنت خزيمة قبل أن يتزوج منها ؛ لأنها من النسوة اللاتي وهبن أنفسهن للنبي الكريم ﷺ ، وتلك خصوصية له ﷺ دون سائر المسلمين .

★ وبعد :

فقد حصحص الحق ، وتبين أن الرسول الكريم عليه السلام لم يعدد زوجاته جرياً وراء شهواته ، كما يزعم الأفاكون الآثمون ، و إنما كان زواجه بهن لحكم كثيرة - كما علمت - راعي فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مصلحة الدين والتشريع ، وقصد تأليف القلوب ؛ فجذب إليه كبار القبائل ، وكرام العشائر .

كما لم يكن زواجه بهن من وحي نفسه ، ولو كان للهوى سلطان على قلب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لتزوج في حال الشباب ، و لتزوج الأبكار ، و لكنه الحقد الأسود الذي ملأ قلوب أولئك المستشرقين ، فأعماهم عن رؤية ضياء الحق الساطع .

وصدق الله : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل * فيدمغه * فإذا هو زاهق * لكم الويل مما تصفون ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين

(١) د/محمد محمود حجازي : التفسير الواضح : ج/٢٢ ، ص/١٢ بتصرف يسير .

حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر
بين الخصوصية والعالمية

(٢/الأخيرة)

بقلم : الدكتور رضوان السيد
(مفكر واستاذ جامعي لبناني)

و أما موضوعات المقارنة فبعض الحقوق الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، مثل : حق العمل ، حق العلم ، وحقوق الأسرة والطفل ، وحق التملك .

أولاً – حق العمل :

العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

١– تعترف الدول الأطراف في هذا العهد بالحق في العمل ، الذي يشمل ما لكل شخصٍ من حقٍ في أن تتاح له إمكانية كسب رزقه بعملٍ يختاره أو يقبله بحرية ، وتقوم باتخاذ تدابير مناسبة لصون هذا الحق .

٢– يجب أن تشمل التدابير التي تتخذها كل الدول الأطراف في هذا العهد لتأمين الممارسة الكاملة لهذا الحق توفير برامج التوجيه ، والتدريب التقنيين والمهنيين ، والأخذ في هذا المجال بسياسات وتقنيات من شأنها تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية مطّردة ، ولحالة كاملة ومنتجة في ظل شروط تضمن للفرد الحريات السياسية ، والاقتصادية الأساسية (٣٣) .

البيان الإسلامي – العالمي لحقوق الإنسان :

لكل إنسانٍ أن يعمل وينتج تحصيلاً للرزق من وجوهه المشروعة : ﴿ وما من دابةٍ في الأرض * إلا على الله رزقها ﴾ ، ﴿ فامشوا في مناكبها * وكلوا من رزقه ﴾ (٣٤) .

حقوق الإنسان في الإسلام : أ– العمل حق تكفله الدولة ، و المجتمع لكل قادر عليه ، وللإنسان حرية اختيار العمل المشروع الذي يلائمه .

ب– على العامل إتقان عمله والإخلاص فيه ، وله حقه في الأجر العادل الكافي مقابل عمله ، وله الحق في كل الضمانات المتعلقة بالسلامة والأمن .

ج– إذا اختلف العمال وأرباب العمل ، فمن حقهم على الدولة ، والقضاء التدخل دون تمييزٍ لرفع الظلم وإقرار الحق (٣٥) .

ثانياً – حق العلم : العهد الدولي الخاص :

١– تقرالدول الأطراف في هذا العهد بحق كل فردٍ في التربية والتعليم ، و هي متفقة على وجوب توجيه التربية والتعليم إلى الإنماء الكامل للشخصية الإنسانية ، و الحسّ بكرامتها ، و إلى توطيد احترام حقوق الإنسان ، و الحريات الأساسية ، و هي متفقةً كذلك على وجوب استهداف التربية والتعليم تمكين كل شخصٍ من الإسهام بدورٍ نافعٍ في مجتمعٍ حرٍ، وتوثيق أواصر التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم ، ومختلف الفئات السلالية ، أو الإثنية ، أو الدينية ، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم .

٢–وتقر الدول الأطراف في هذا العهد بأن ضمان الممارسة التامة لهذا الحق يتطلب :

أ– جعل التعليم الابتدائي إلزامياً ، وإتاحته مجاناً للجميع .

ب– تعميم التعليم الثانوي بمختلف أنواعه ، بما في ذلك التعليم الثانوي التقني والمهني ، وجعله متاحاً للجميع الوسائل المناسبة ، ولا سيما بالأخذ تدريجياً بمجانية التعليم .

ج– جعل التعليم العالي متاحاً للجميع على قدم المساواة ، تبعاً للكفاءة ، بجميع الوسائل المناسبة ، ولا سيما بالأخذ تدريجياً بمجانية التعليم.

د– تشجيع التربية الأساسية أو تكثيفها ، إلى أبعد حد ممكن ، من أجل الأشخاص الذين لم يتلقوا أو لم يستكملوا الدراسة الابتدائية .

و– العمل بنشاط على إنماء شبكة مدرسية على جميع المستويات ، وإنشاء نظام منحٍ وافٍ بالغرض ، ومواصلة تحسين الأوضاع المادية للعاملين في التدريس .

٣- إمكان اختيار مدارس غير حكومية (٣٦) :

الإعلان الإسلامي - العالمي : أ- التعليم حق للجميع ، وطلب العلم واجب على الجميع ذكوراً وإناثاً على السواء : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" ، و التعليم حق لغير المتعلم على المتعلم : ﴿ و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس * ولا تكتمونه * فنبذوه وراء ظهورهم * واشتروا به ثمناً قليلاً * فبئس ما يشترون ﴾ ، ﴿ ليبلّغ الشاهد الغائب ﴾ .

ب- على المجتمع أن يوفر لكل فرد فرصة متكافئة ليتعلم ويستنير : "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، و إنما أنا قاسم ، والله عزّوجل يعطي" ، ولكل فرد أن يختار ما يلائم مواهبه وقدراته : كل ميسر لما خلق له" (٣٧) .

حقوق الإنسان في الإسلام :

١- طلب العلم فريضة على كل إنسان .

٢-التعليم واجب على المجتمع والدولة ، وعليهما تأمين سبله و وسائله ، و ضمان تنوعه بما يحقق مصلحة الجماعة ، و يتيح للإنسان معرفة دين الله تعالى ، وحقائق الكون وتسخير الطبيعة لصالح البشرية وغيرها ، و هو إلزامي في مراحله الأولى (٣٨) .

★ ثالثاً - حقوق الأسرة والطفل :

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان : ١- للرجل والمرأة متى أدركا سن البلوغ ، حق التزوج ، و تأسيس أسرة دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين ، و هما يتساويان في الحقوق لدى التزويج ، و خلال قيام الزواج ، ولدى انحلاله .

٢- لا يُعقد الزواج إلا برضا الطرفين المزمع زواجهما رضاءً كاملاً لا إكراه فيه .

٣- الأسرة هي الخلية الطبيعية والأساسية في المجتمع ، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة (٣٩) .

العهد الدولي الخاص : وجوب اتخاذ تدابير حماية ومساعدة خاصة لصالح جميع

الأطفال و المراهقين ، دون أي تمييز بسبب النسب أو غيره من الظروف ، و من الواجب حماية الأطفال و المراهقين من الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي ، كما يجب جعل القانون يعاقب على استخدامهم في أي عمل من شأنه إفساد أخلاقهم ، أو الإضرار بصحتهم ، أو تهديد حياتهم بالخطر، أو إلحاق الأذى بنموهم الطبيعي ، وعلى الدول أيضاً أن تفرض حدوداً دنيا للسن يحظر القانون استخدام الصغار الذين لم يبلغوها في عمل مأجور، و يعاقب عليه (٤٠) .

الإعلان الإسلامي - العالمي :

حق بناء الأسرة : أ- الزواج - باطاره الإسلامي- حق لكل إنسان ، وهو الطريق الشرعي لبناء الأسرة ، وإنجاب الذرية ، و إعفاف النفس : ﴿يا أيها الناس ! اتقوا ربكم * الذي خلقكم من نفس واحدة * وخلق منها زوجها * وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴾ .

ب- لكل طفل على أبويه حق إحسان تربيته و تعليمه و تأديبه : ﴿ و قل رب ارحمهما * كما ربياني صغيرا ﴾ ، ولا يجوز تشغيل الأطفال في سن باكرة ، و لا تحميلهم من الأعمال يا يرهقهم أو يعوق نموهم أو يحول بينهم و بين حقهم في اللعب والتعلم .

ج- إذا عجز والداً الطفل عن الوفاء بمسئوليتهما نحوه ، انتقلت هذه المسئولية إلى المجتمع ..

هـ- لا يُجبر الفتى أو الفتاة على الزواج ممن لا يرغب فيه : "جاءت جارية بكر إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ فذكرت أن أباها زوجها ، وهي كارهة فخيرها النبي الكريم ﷺ"(٤١) .

حقوق الإنسان في الإسلام : أ- الأسرة عماد المجتمع المسلم ، والزواج أساس وجودها ، وهو واجب على الرجال والنساء ، يرغب الإسلام في ممارسته ، ولا يحول دون التمتع به أي قيد منشؤه العرق أو اللون أو الجنسية إلا لضرورة تقتضيها أحكام الشريعة .

ب- على الدولة والمجتمع إزالة العوائق أمام الزواج ، وتيسير وسائله .

جـ- التراضي أساس في عقد الزواج ، وإنهاؤه لا يكون إلا وفق أحكام الشريعة .

د- الرجل قيم على الأسرة و مسئول عنها ، و للمرأة شخصيتها المدنية ، وذمتها المالية المستقلة ، وتحتفظ باسمها ونسبها ..

هـ- لكل طفل منذ ولادته حق على والديه ومجتمعه ودولته في الحضانة ، والتربية ، والرعاية المادية ، والأدبية .

و- على المجتمع والدولة حماية الأمومة وتعهدها برعاية خاصة .

ز- من حق الأب أن يختار لطفله التربية الملائمة في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية (٤٢) .

رابعاً - حق التملك : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

١- لكل فرد حقّ في التملك ، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره .

٢- لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسُّفاً (٤٣) .

البيان الإسلامي - العالمي : الملكية الخاصة مشروعة - على انفراد مشاركة - ولكل إنسان أن يقتنى ما اكتسبه بجهده وعمله : "وأنه هو أغنى وأقنى" ، والملكية العامة مشروعة ، وتُوظَّفُ لمصلحة الأمة بأسرها : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرن * فللّه * وللرسول * ولذي القربى * واليتامى * والمساكين * وابن السبيل * كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (٤٤) .

حقوق الإنسان في الإسلام : لكل إنسان الحق في الكسب المشروع ، على ألا يحتكر، ولا يغش ، ولا يضر بفرد ، أو جماعة (٤٥) .

نتائج المقارنات : إن الثبت السابق الذي يتضمن ذكراً لنصوص المواثيق العالمية ، و بيانين إسلاميين ، فيما يتصل بحقوق العمل ، و العلم ، والأسرة ، والطفل ، والتملك ؛ يُظهر تقاطعات ولقاءات ، كما يُظهر فروقاً واضحةً ، و الواقع أن "جدول أعمال" إعلان حقوق الإنسان ، و العهد الدولي الخاص فرض نفسه على

البيانين الإسلاميين اللذين اضطرا إلى ذكر ما ذكر الميثاقان مع إضافات تفصيلية قليلة ، بيد أن الاختلافات ما تزال واضحةً تحت العناوين المشتركة ، فالملاحظ أن الإعلانات الدولية تذكر أموراً كثيرةً باعتبارها حقوقاً طبيعيةً ، بينما يؤصل الإعلان الإسلامي - العالمي نفسه على القرآن والسنة ، والآخر على الشريعة ، ولذا تتمايز اللهجة ، فتظل الإعلانات الدولية حقوقاً ، بينما تُصبح الإعلانات الإسلامية تكاليف ، وهذا تمايز تبدو أهميته فيما بعد عند التفصيل ، فهناك إصرار من جانب واضعي البيانين الإسلاميين على التقيد بأحكام الإسلام أو الرجوع إليها في الزواج ، والقوامة ، وحضانة الأطفال .. إلخ ، وهناك إصرار على استخدام المصطلح ، والتعابير الفقهية والقرآنية ، وهناك إصرار أيضاً على أن ذلك لا يُعتبر تمييزاً ، بل هي نصوص شرعية لابد من اتّباعها ، و خلاصةُ الأمر أن هناك نزعة تأصيل (في بيان المجلس الإسلامي أكثر مما لدى جماعة المؤتمر الإسلامي) ، كما أن هناك إصراراً على إبراز خصوصيات شريعتنا؛ وصولاً إلى الإحساس بالاستقلالية عن أنماط الغرب ونماذجه - فالموجه إليهم البيانان ليسوا هم المسلمين في ديارالإسلام ، بل أطراف المجتمع الدولي الذين ينبغي - حسب البيانين - أن يعلموا إصرار المسلمين على التمايز والندية بسبب خصوصية نصوصهم وأعرافهم ، وبالتالي شخصيتهم ؛ فلا يمكن أن يذوبوا في المجتمعات الغربية ، كما ذاب أسلاف لهم على الإطلاق ، و فيما عدا ذلك ، فإن البيانين لا يعرضان جديداً إلا في "التقنين" كما يذكر إعلان حقوق الإنسان في الإسلام - والتقنين نزعة بدأت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتبلورت مع العمل على مجلة الأحكام العدلية العثمانية ، ثم استمرت على تقطعٍ في النصف الأول من القرن العشرين ، وتعود في الأعوام الأخيرة للبروز على مستوى وضع الدساتير ، و إعلانات حقوق الإنسان ، و تقنين أحكام المعاملات - وهدفها أمران : إثبات صلاحية الشريعة للتطبيق في كل زمانٍ ومكان ، والتهيئة لقيام الدولة الإسلامية التي قويت فكرتُها بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ، وإعلان الدستور الإسلامي هناك .

يرى الباحث المعروف جورج مقدسي (٤٦) أن التقليدين ، الإنسانوي (Humanism) و السكولائي ظهراً في عالم الإسلام ، ثم تسربا إلى الغرب عن طريق إيطاليا و الأندلس لكن الفرق بين عالم الإسلام ، والعالم الأوربي ؛ أن العالم الإسلامي عرف الحركة الإنسانوية أولاً ثم النظام التعليمي السكولائي ، بينما عرفت أوربا ، السكولائية أولاً ثم الأنسنة ، فالذي يبدو لي أن مشكلاتنا الثقافية مع الغرب ناجمة عن التشابه الشديد في الأصل لا الاختلاف ، ولست على بينة مما إذا كان التأصيل والخصوصية ، السبيلين الأكثر جدوى لحفظ الهوية أو استنقاذها ، على أن ظاهرة الإعلانات الإسلامية لحقوق الإنسان ليست سلبية مطلقاً ، فقد مرت فترة كنا فيها نرفض العالمي ، و الكوني رفضاً باتاً (٤٧) ، ونحن نقول الآن من خلال هذه الإعلانات : إننا نقبل بالدخول والمشاركة ، لكن بشروط نعتبرها شروطاً حاجيةً أو تحسينيةً ، و ليست ضرورات ، بيد أن المسألة المطروحة هنا تظل خياراً وجودياً ، وتاريخياً كبيراً ، وشروط هذا الخيار الوعي بالمجال والزمان – وهو ما تحاول هذه المقالة أن تتطلع إليه .

(٣٣) البيان الإسلامي : ص/١٥٠ ، الحقوق الاقتصادية .
(٣٤) حقوق الإنسان في الإسلام : ص/٦ ، حقوق العمل والضمان الاجتماعي ، المادة الرابعة عشرة .
(٣٥) العهد الدولي ، المادة/١٣ .
(٣٦) الإعلان الإسلامي – العالمي : ص/٢١ – حق التربية .
(٣٧) حقوق الإنسان في الإسلام : ص/٥ ، – حقوق التعليم والتربية – المادة الثانية عشرة .
(٣٨) انظر : المادة/١٦ .
(٣٩) المادة رقم/١٠ ، فقرة/٣ .
(٤٠) انظر : ص/١٩ – حق بناء الأسرة .
(٤١) انظر : ص/٣ – حقوق الأسرة ، المواد/ ٧-٨-٩ .
(٤٢) انظر : المادة/١٧٤ .
(٤٣) انظر : ص/١٥ – الحقوق الاقتصادية .
(٤٤) انظر : ص/٧ – حقوق الكسب والانتفاع والملكية الأدبية ، المادة السادسة عشرة .
(٤٥) قارن : Geeorge Makdisi, Humanism in Classical Islam and in the Italian Renaissance; in: Studies in History and Literature. Hazar Publishing, Beirut 1992, pp. 15-22.
وانظر في الموضوع نفسه للمؤلف : The Rise of Humanism in Classical Islam and the Christian West-With Special Reference to Scholasticism. 1990.
(٤٦) قارن بمناقشة للكوني والخصوصي في : مقدمات المجلة المغاربية للكتاب ، ع/٥ ، شتاء ١٩٩٦م : ص/٤٦ وما بعدها

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي

عالم اللغة ، ومحقق التراث

بقلم : السيد عبد الماجد الغوري
(دمشق – الجمهورية السورية)

كان من أفذاذ العلماء الأعلام في التمكّن من العربية وآدابها وعلومها ، لا في الهند فحسب ، بل في البلاد العربية كلها .

كان دائم الحنين إلى العرب وبلادهم ، يَعُدُّ نفسه واحداً منهم ، ومن أحق منه بذلك ، و هو الذي رفع للعربية مناراً عالياً ، و جعل طريقها ذلولاً ركوباً ، وحمل فيها راية التأليف والبحث والتحقيق ؛ فأحسن ماشاء ، و بلغ الغاية التي لا تدرك .

قضى حياته يدرس تراثها العظيم ويدرّسه ، والجيل الذي تخرّج على يديه بات حجةً في اللغة .

أنفق أيام عمره المديد في خدمة اللغة العربية ، والدفاع عنها ، وإثراء مكتبتها بآثاره القيمة .

عند ما لحق باللطيف الخبير ، فقدت العربيةُ عالماً فذاً من علمائها ، وخسرت مجامعها ركناً متيناً من أركانها ، و بكاه أهل العلم والفضل في كل مكان ، وترك فراغاً كبيراً في أوساط العلم واللغة والأدب .

نبذة عن حياته وأعماله :

وُلد العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي في نحو سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) ببلدة "راجكوت" في إقليم "كاتهياوار" على الساحل العربي للهند ، من بيت عريق في التجارة .

تلقى التعليم الابتدائي – على عادة العصر – في الكتاتيب المحلية ، وفي بعض المدارس الدينية في مدينة "جوناكره" ، ثم بدأ رحلته إلى مراكز العلم ليستكمل دراساته العالية ، و قرأ على الأساتذة الكبار في ذلك العصر في "لكناؤ" و"رامفور" و"دهلي" ، وكان من أساتذته وشيوخه العالم المسند الراوية الرحلة الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني ، و الشيخ نذير أحمد الدهلوي ، و الشيخ محمد طيب المكي الذي درس عليه الفلسفة و المنطق في المدرسة العالية في "رامفور" ، ثم التحق بجامعة بنجاب ، وحصل منها على شهادتين في العلوم الشرقية التي تشتمل على الدراسات الإسلامية ، واللغات العربية ، والفارسية ، والأردية .

فاتكأ على نفسه لا يكتفى بالمألوف الموروث في تلقى العلم ، و لا يقنع به ، و اختط طريقاً جديداً لدراسته ، يُلبي رغبته ، و يرضي طموحه ، آثر الاطلاع على كتب القدماء من المؤلفين ، و الكتاب العرب ، وتَعمَّقَ في علوم اللغة والأدب ، وحفظ من الشعر العربي القديم كمية كبيرة ، وقد قال بنفسه : إنه حَفِظَ في صباه المعلقات العشر ، و ديوان الحماسة ، والمتنبي ، كما حفظ جزءاً كبيراً من مراجع اللغة والأدب مثل الجمهرة – للقرشي ، و المفضليات –للمفضل الضبي ، و الكامل –للمبرد ، والنوادر –لأبي زيد ، والبيان والتبيين –للجاحظ ، و أدب الكاتب –لابن قتيبة الدينوري ، وشرحه الاقتضاب –لابن السيد البطليوسي (١) ، ومِمَّا يدل على قوة ذاكرته وحسن استحضاره إلى آخر حياته ، ما يقول سماحة العلاّمة الكبير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) : "سألته في أثناء الحديث – بكل احترام – عن عدد ما يحفظه من أبيات الشعر العربي ،

(١) مجلة "البعث الإسلامي" – عدد صفر ١٣٩٩هـ .

فتوقف لحظة ، وقال : بين خمسة وسبعين ألف بيت ، ومائة ألف بيت" (١) ، ولا يقل أمثال هؤلآء في العلماء والأدباء المتقدمين ، ولكن من الصعب أن نجد نظيراً له اليوم ، لا في شبه القارة الهندية فحسب ، بل في البلاد العربية كلها.

ولقد اشتغل العلامة الميمني بالتدريس في عدة جامعات ومراكز في شبه القارة الهندية ، فعمل أولاً كمدرس اللغة العربية والفارسية في الكلية التبشيرية (Mission College) في "بيشاور"، ثم عيّن مدرساً في الكلية الشرقية (Oriental College) في "لاهور" سنة ١٩٢١م ، ثم غادر لاهور إلى جامعة عليكره الإسلامية في سنة ١٩٢٥م ، حيث عُيّن أستاذاً مساعداً بقسم اللغة العربية وآدابها عن جدارة واستحاق ، فترَقّى حتى عُيّن أستاذاً ، ورئيساً بقسم اللغة العربية وآدابها ، واستمرّ فيها إلى سنة ١٩٥٠م ، قد أثبت العلامة الميمني كفاءته و جدارته في هذه الجامعة ، و تتابعت أبحاثه ومقالاته ، حول اللغة والأدب ، والتاريخ على صفحات أمهات المجلات العربية الصادرة من الهند والبلاد العربية ، و وصلت مقالاته وأبحاثه في الآفاق ، وتوطّدتْ علاقته بكبار أدباء العربية و علمائها في جميع البلاد العربية ، كما استحكمت أواصره وروابطه بالمستشرقين ، فضلاء الغرب ، و أساتذة الجامعات الأوربية ، وعُيّن عضواً مراسلاً في المجامع العربية المشهورة في دمشق والقاهرة .

وخلال إقامته في الجامعة نشر كتابه : "سمط اللآلي في شرح الأمالي" –للقالي ، وقام بجولات واسعة في مختلف أنحاء العالم ينقب عن آثار العرب والمسلمين في المكتبات المشهورة والمغمورة ، وأتى في كل جولة بالنوادر والعجائب من المخطوطات والوثائق دهشت لها النفوس ، و بهرت العيون ، وصار أكبر مرجع للغة والعلم للباحثين والمحققين .

(١) انظر : "في مسيرة الحياة" لسماحة العلامة الشيخ الندوي (رحمه الله) : ج/٢ ، ص/٣٧ .

وبعد ما استقلت الهند وباكستان كدولتين مستقلتين ، قد هاجر العلامة الميمني إلى باكستان ، حيث عُيّن رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة كراتشي ، واتصل بعد ذلك بالمعهد المركزي للدراسات الإسلامية (Central Institute of Islamic Reserch) في كراتشي سنة ١٩٦٠م ، وعُيّن أخيراً رئيساً لقسم اللغة العربية سنة ١٩٦٤م في الكلية الشرقية في جامعة بنجاب ، و استمر عليه زمناً غير قصير حتى وافاه أجله المحتوم في يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٧/من أكتوبر ١٩٧٨م بكراتشي ، وقد بلغ التسعين من عمره :

و ان امرأ قد سار تسعين حجة

إلى منهلٍ ، من ورده لقريب

بوفاته لم تخسر شبه القارة الهندية فحسب علماً أديباً ، محققاً بصيراً ذا منزلة سامية في اللغة العربية وآدابها ، بل خسر العالم العربي كله ، والعصر الذي نعيش فيه خسارة كبيرة .

قد كان العلامة حريصاً على خدمة الطلاب بعلمه وماله ، كما اعترف به بعض طلابه بعد وفاته ، فقد وَزّع على نفقته الخاصة مئات النسخ من كتاب "المصنف" لعبد الرزاق على المدارس العربية ، والجامعات الشرقية ، والمكتبات الإسلامية ، كان العلامة ممن يعرف بدار العلوم التابعة لندوة العلماء بخدمات دينية ، وعلمية جليلة ، وبخدماته العظيمة في مجال الأدب العربي ، وقد اعترف مراراً ما للمتخرجين منها في الهند وباكستان من أياد بيضاء على اللغة العربية ، وما يتبذّلون من جهود حثيثة في رفع مستواها في ربوع الهند ، فقدم مساعدة ماديةً قيمةً لمكتبتها في آخر حياته ، أُنشئَ بها ركن خاص باسمه في المكتبة لمراجع اللغة العربية ، والأدب العربي .

كتبه وآثاره : و لقد كان العلامة الميمني مع اشتغاله بالتدريس شغوفاً بالتأليف ، و تحقيق المصادر الأدبية القديمة ، وشرحها ، والتعليق ، والتحشية

عليها ، كما يبدو من مطالعة كتبه .

لقد ذاع صيته في العالم العربي بكتابه المعروف : "أبو العلاء وما إليه" الذي بلغ بالعلامة ذروة التأليف والتحقيق حتى صار مثلاً يضرب في هذا الموضوع .

كان العلامة الميمني حين عَزَمَ على دراسة المعري ، وتأليف كتابه في عنفوان شبابه ، كان ابن خمسة و ثلاثين من عمره ، قد بَلَغَ أشده واستوى ، و اكتملت له أدوات العلم ، وزانه النضج والحكم ، فأقدم على عمله إقدام واثق ، قد أعدّ له عدته ، و هيّأ له أهبته ، ويُعدّ هذا الكتاب (أبو العلاء وما إليه) محاولة جادة لدراسة الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري ، والتعرف إلى سيرته ، وفهم شعره ومراميه دون الوقوع في شباك التغرب ، إنها الدراسة التي تستمدّ معينها من أصدق الأخبار ، ومن تصور وقائع العصر وأحواله ومذاهبه وحياته الفكرية تصوراً صحيحاً يعتمد الحس التاريخي الدقيق ، ومن ثَم نال أثره الأدبي الفريد هذا ، من القبول الرواح بين أوساط العلم والأدب ما يقل نظيره في الأدباء المؤرخين .

لقد راع العلامة الميمني ما وقع فيه دارسو المعري من المستشرقين ، و أضرابهم من المتأدبين العرب ، و رأى أن الحاجة ماسة إلى من يتعرف بأبي العلاء تعرف الإنسان بصاحب له ذي أرباب ، و توخى في كتابه تصحيح ما جاء به مرغيلوث الإنجليزي في مقدمة ترجمة رسائل أبي العلاء المعري (١)، و ما وقع في كتاب الدكتور طه حسين "ذكرى أبي العلاء" من الحيف و مجانبة الحق و محاولة إثارة الشك في الشعر الجاهلي ومصادره ، وكان الدكتور طه حسين يعتبر سنداً يعتمد عليه في البحث عن أبي العلاء المعري ، وكان يشبه المعري جسمياً ، وفكرياً ، ونفسياً ، وكان لكتابه : "ذكرى أبي

(١) انظر : أبو العلاء وما إليه -للعلامة عبد العزيز الميمني : ص/٣ .

العلاء" دوي في الشرق يتغنى به أساتذة الأدب وطلابه ، ولكن كتاب العلامة الميمني فاقه درجات ، و قد عرف الدكتور طه حسين بسحر أسلوبه و نغمه الموسيقي الحلو ، و لكنه لم يكن باحثاً يهتمّ بتهذيب اللغة ، و الشعر ، وتصحيح ، و مقابلة النسخ الخطية القديمة ، وغربلة الروايات للتمييز بين الصحة والخطأ ، لأن هذه العملية تحتاج إلى بصيرة نافذة وبصارة حادة ، وبذل جهود مضنية وصبر وآناة ، ولم يكن طه حسين – رغم مكانته العالية – متصفاً بهذه المزايا (١) .

كتب كبار علماء و باحثي العرب ، أمثال : العلامة أحمد تيمور ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والشيخ أحمد الأسكندري ، والعلامة أحمد محمد شاكر تعليقات قيمة على هذا الكتاب ، أشادوا فيها بما يمتاز الباحث من سعة الاطلاع ، وبذل الجهد الكبير ، والتحقيق العلمي الرصين .

إذا كان كتاب العلامة الميمني "أبو العلاء وما إليه" تاج أعماله في التأليف ، فإن كتابه : "سمط اللآلي" تاج أعماله في التحقيق ، يعتبر مأثرة علمية يفوق "أبو العلاء وما إليه" من بعض الاعتبارات ، لأن له صلة وثيقة بكتاب : "الأمالي" لابن علي القالي الذي كان من الكتب المفضلة لدى العلامة ، و الذي كان يراه أجود مجموعة لنوادر اللغة والشعر ، وقد احتفل العلامة بهذا الكتاب : "سمط اللآلي" وتروّى وتأني في عمله وتأنق ، كان يعينه الكمال ، فمشى على رود يتمهّل ، فأتى بالعجائب ، و نثر فيه الفوائد والفرائد ، وأبان عن دُرر مكنونة فيما سطر من حواش وطرر حتى أصبح (الكتاب) مورداً عذباً سائغاً شرابه ، يرده المحققون ، ويفيدون من تعليقاته ، واطلاع صاحبه الواسع ، حتى إنهم ما يكادون يذكرون عمله في هذا

(١) انظر : مقالة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في مجلة : "المجمع العلمي الهندي" في عددها الخاص ، حول العلامة عبد العزيز الميمني .

الكتاب آنذاك إلا بنعت فيه تفخيم ، من مثل قولهم : "و جاء في سمط اللآلي الممتع للعلامة الميمني" كذا (١) .

وقد نال هذا الكتاب إعجاب الباحثين والأدباء الكبار من أهل زمانه الذين أثنوا ، وأشادوا بما يتمتع به العلامة من بصيرة نافذة ، ودقة النظر ، و صبره وأناته ، و طول تعاهده و عمله بالعناية و النقد ، و تتابع ناشرو التراث على الاقتداء بالعلامة على قدر وسعهم ، بحيث كان منهجه في هذا الكتاب – بحق – مدرسة حاول أن يتخرج منها كثير ، فوفق بعض ، وأخفق بعض وظنوا أن التحقيق إطالة التعليق في غير طائل .

إن كل سطر في تعاليق العلامة على هذا الكتاب يفيد القارئين والمدركين بما كان وراءه من سعة اطلاع ، وغزارة علم ، وطول ممارسة ، وشدة تحرّ ، وهذا هو الذي يجب أن يتعلمه الباحثون والمحققون والمحدثون اليوم الذين يخبطون في تحقيقاتهم و تعليقاتهم خبط العشواء – لا يقلدون إلاّ الأشكال بلا بصر ، ولا فهم .

ولعل هذا الطراز من الناشئين عاني منه العلامة ، فأشار في مقدمته لهذا الكتاب إلى أنه أغفل أشياء كثيرة ، يقول : "لم أرَ في ذكرها غرضاً غير تسويد الكتاب ، وتضييع أوقات القارئ فيما لا يجديه ، وغير إبراز هوى النفس الأمارة المكنون في التحذلق والتفيهق ، رغماً لأنف من يستنكره عليّ من نابتة العصر المتبجحين" (٢) .

وغير هذين الكتابين للعلامة الميمني تأليفات قيمة ، وتحقيقات نفيسة ، أذكر هنا ما وقفتُ عليه ، فمنها :

(١) انظر مجلة : "المجمع العلمي العربي" الصادرة في مجمع اللغة العربية بدمشق : ج/١٥ ، ص/١٠٥ .

(٢) انظر : مقدمة العلامة الميمني لـ "سمط اللآلي" : ص/ن .

١- الفاضل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرد (تحقيق) ، طبع من دار الكتب العربية ، القاهرة في سنة ١٣٧٥هـ ، يحتوي هذا الكتاب على ١٦٥/صفحة .

٢- الطرائف الأدبية ، وهي مجموعة من الشعر (تصحيح وتخريج ومعارضة على النسخ المختلفة وتذييل) طُبع من لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة في سنة ١٣٥٦هـ ، يحتوي هذا الكتاب على ٣٠٥/صفحة .

٣- الوحشيات : وهو الحماسة الصغرى -لأبي تمام الطائي (تعليق وتحقيق ، وزاد في حواشيه الشيخ محمود محمد شاكر) ، طُبع من دار المعارف القاهرة ، في سنة ١٣٨٣هـ ، يحتوي على ٣٧٧/صفحة .

٤- أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهاني من النسخة الفريدة ، طبع من المطبعة السلفية القاهرة ، في سنة ١٣٥٠هـ ، يحتوي على ٤٥/صفحة .

٥- نسب عدنان وقحطان -لأبي العباس المبرد (تصحيح وشكل ومعارضة) ، طبع من لجنة التأليف و الترجمة القاهرة ، في سنة ١٣٥٤هـ ، يحتوي على ٢٤/صفحة .

٦- ديوان حميد بن ثور الهلالي ، وفيه بائية أبي وفاء الإيادي (صنعة) ، طبع من الدار القومية القاهرة ، في سنة ١٣٨٤هـ ، يحتوي على ١٧٣/صفحة

٧- المنقوص والممدود -للفراء (تحقيق) طبع من دار المعارف القاهرة ، في سنة ١٣٩٧هـ ، يحتوي على ٤١/صفحة .

٨- التنبيهات -لعلي بن حمزة (تحقيق) طبع من دار المعارف القاهرة ، في سنة ١٣٨٨هـ ، يحتوي على ٤١/صفحة .

٩- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (تحقيق) طبع من الدار القومية القاهرة ، في سنة ١٣٨٤هـ ، يحتوي على ٧٠/صفحة .

١٠- فهارس "سمط اللآلي" (على غرار مبتكر فريد) .

***

الفقه الإسلامي :

الاستثمار بأموال الزكاة وأقسام تمليك الزكاة

(٢/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي

حديث سيدنا معاذ بن جبل :

و قضية التمليك تتضح تماماً في ضوء حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقد قال له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حينما بعثه والياً إلى اليمن : " إنّك تأتي قوماً أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، و أنّ محمداً رّسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم و الليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم" (١٠) .

فقد ورد في الحديث الأخذ من الأغنياء ، والردّ على الفقراء ، والأخذ والردّ كلمتان متقابلتان ، فما يؤخذ من الأغنياء ، فهو نفسه يرد على الفقراء ، ومعلوم أن قد لا تؤخذ منافع أموال الزكاة وأرباحها فحسب من الأغنياء حين أخذ الزكاة ، بل قد يؤخذ الملك أيضاً منهم ، إذاً لا يكون الردّ على الفقراء للمنافع والأرباح فحسب، بل الردّ يكون للملك أيضاً ، أي يُجعل الفقراء ملاّكاً لأموال الزكاة ، وهذا هو التمليك الذي

(١) مشكاة المصابيح : ١/١٥٥ ، أبواب الزكاة .

رأى الفقهاء بوجوبه ولزومه ، فاتضح أن التمليك ثابت واجب بالكتاب والسنة لا باختراع الفقهاء .

أما عملية هذا الأخذ والردّ فتقوم بها الحكومة الإسلامية ، وإلا فأصحاب الحلّ والعقد من المسلمين ، ولنكن على بينة أن الحكومة الإسلامية ليس إلا وسيطاً محضاً في عمليّة الأخذ والردّ ، وليس بيدها أن تَمْلكَ بنفسها أموالَ الزكاة بدلاً من أن تُمَلِّك الفقراءَ ، ثم تحيل منافعها وأرباحها إلى الفقراء ، لأنه ليس بردّ ما أخذت ، واللازم هو الردّ لما يؤخذ .

التّعامل في العصر النبويّ ، وعصر الصحابة :

لم نعثر على أيّ مثال لصرف أموال الزكاة في خطط خاصّة يصل نفعها و ربحها إلى الفقراء بأن لا ينتقل الملك إليهم ، بل لم يزل دأب التمليك سارياً منذ زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فكان عمّال الزكاة يأخذون أموال الزكاة من الأغنياء ، ويوزعونها في فقراء تلك المناطق ، وإن لم يكن الفقراء هناك ، فكانوا يوزعون بين فقراء المناطق الأخرى ، فقد روى أبو جحيفة رضي الله عنه : "قدم علينا مصدّق النبي الكريم صلى الله عليه و سلم ، فأخذ الصدقة من أغنيائنا ، فجعلها في فقرائنا ، وكنت غلاماً يتيماً فأعطاني منها قلوصاً (١) .

وهذا ما يتجلى من عدة روايات وآثار ، قد جمعها الإمام أبو عبيد قاسم بن سلام رحمه الله [م ٢٢٤هـ] (٢) .

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب الزكاة : باب ما جاء أن الصدقة تؤخذ من الأغنياء ، وترد على الفقراء .

(٢) من أراد التفصيل ، فلينظر إلى "كتاب الأموال : ص/٥٨٨-٥٩٠ ، مطبوع دار الكتب العلمية - بيروت .

وقد يعترف الآبون المنكرون للتمليك أيضاً أن التمليك كان هو الأمر المعمول به في خير القرون ، والقرون بعدها ، ولا يمكن هذا التعامل المتتابع محض فجأة مصادفة ، إنما هو دليل على الترسخ في الأذهان عامة أن الطريق لتأدية الزكاة واحد ، ألا وهو تمليك المستحق .

تنبوءات الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم :

ولا نجد في سائر ما تنبأ به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أي شئ يدل على وجود طريق آخر لتأدية الزكاة سوى طريق تمليك الفقير حتى الساعة ، بل الأحاديث كلها تؤشر إلى وحدة الطريق ، و هو التمليك ، قال صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ، ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله ، فلا يجد أحداً يقبلها منه" (١) ، وقال : "تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقة ، فلا يجد من يقبلها ، يقول الرجل : لو جئت بها بالأمس لقبلتها ، فأما اليوم ، فلا حاجة لي بها" (٢) .

ففي مثل هذه الأحاديث قد هدى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته إلى الطريق الوحيد لتأدية الزكاة ، وإلاّ فلو كان التمليك شيئاً مؤقّتاً خاصاً في زمان دون آخر ، ولا يكون بمنزلة الشرط أو الركن ، لأشار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى تشغيل أموال الزكاة في الأشغال المنوطة برفاهية الأمة حين قلّة الفقراء في الزمن الأخير ، وإلى عدم وقوع الناس في الحرج والعسر بتمليك أموال الزكاة للفقراء .

ولكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يشر إلى ذلك ، بل أشار

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الردّ ، من أراد مزيداً من الأحاديث ، فليراجع صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، باب كل نوع من المعروف صدقة .

إلى أن الطريق معيّن والضابط مقرّر ، وهو التمليك .

فكرة الإمام الدهلوي :

إن الإمام ولي الله الدهلوي [م ١١٧٦هـ] لمن طليعة العلماء البارزين الثابتين الراسخين ، وكتابه : "حجة الله البالغة" يحمل مكانة مرموقة في العلوم الإسلامية ، وقد كتب الإمام ، وهو يحدث عن مصادر الدخل والإيراد في الحكومة الإسلامية ومصاريفها :

"والبلاد الخاصة بالمسلمين عمدة ما يتخلص فيها من المال نوعان يزاء نوعين من المصرف ، نوع هو المال الذي زالت عنه يد مالكه كتركة الميت ، لا وارث له ، وضوال من البهائم لا مالك لها ... ونوع هو صدقات المسلمين جمعت في بيت المال ، ومن حقّه أن يصرف إلى ما فيه تمليك لأحد ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ الآية (١) .

نظرة الإمام أبي عبيد قاسم بن سلام :

إن الإمام أبا عبيد القاسم بن سلام لمن معاصري الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وقد توفي عام ٢٢٤هـ ، وكتابه : "كتاب الأموال" يُعَدُّ كتاباً منقطع النظير مزيداً في النظام الإسلامي الماليّ ، وقد ذكر الإمام في كتابه : "قضية المديون المستحق للزكاة" ، وصرح بعدم جواز أن يحتسب الدائن الدين الواجب في ذمّة المديون من الزكاة الواجبة عليه نفسه بدلاً من أن يأخذ من المديون دينه ، وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء ، وقد ذكر الإمام أبو عبيد عدة أسباب لحرمته ، نذكر ها هنا سبباً منها : " أما أحدها : فإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقة كانت على خلاف هذا الفعل ، لأنه إنما كان يأخذها من أعيان المال عن ظهر أيدي الأغنياء ، ثم يردها في الفقراء ، وكذلك كانت الخلفاء بعده ، ولم يأتنا عن أحد منهم أنه أذن

(١) حجة الله البالغة : ٢/٤٥ .

لأحد في احتساب دين من زكاة ، و قد علمنا أن الناس قد كانوا يدانون في دهرهم (١) .

ومعلوم أن احتساب دين المديون من زكاة الدائن يجدى للمديون نفعاً ، ويكون هذا صرفاً لمال الزكاة في صالح المستحق للزكاة ، ولكن الفقهاء لم يقتنعوا به ، بل أوجبوا إعطاء الزكاة في ملك الفقير و يده و تصرّفه ، كما هو الدأب منذ عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

وقد كتب الحافظ ابن رجب الحنبلي [م ٧٩٥هـ] موضحاً الفرق بين مال الزكاة ، ومال الفيئ .

و أيضاً : " فالزكاة يعتبر فيها تمليك المستحق ، و لا يجوز صرفها إلى من لا يملك بخلاف مال الفيئ ، فإنه يصرف في المصالح العامة كسدّ البثوق ، وكري الأنهار ، وعمارة القناطر" (٢) .

فذلكة البحث :

قد اتضح فيما سقنا من الأقوال أن الفقهاء يرون بوجوب تمليك أموال الزكاة للفقراء والمستحقين ، فإن الزكاة لا تتأدى بدون التمليك .

و الواقع الذي لا يتناطح فيه عنزان أن الإسلام دين الفطرة و الطبع ، وأنه قد هدف في أمر الزكاة إلى القضاء على أزمات الفقر والإفلاس التي ربما تلجئ الإنسان إلى بيع دينه ، و إيمانه ، و عرضه ، و حرمته بدارهم معدودة من الدنيا .

وفي العصر الذي نعيشه اليوم – رغم تطوره المدهش في العلوم ،

(١) كتاب الأموال : ص/٤٤١ .

(٢) الاستخراج لأحكام الخراج : ص/١١٨ .

والتقنية ، والصناعة – قد تورّط معظم مستوطنات المسلمين في أزمات الفقر والجدب ، وتنتهزها قوات معادية تبشيرية مسيحية ، وتبذل جهودها الجهيدة في إفساد عقائد المسلمين ، وبريق الأموال والثروات والملذات يصبح المسلمون الفقراء عرضةً لهذه الحركات الإلحادية ، والنظرات الشركية ، والقوات المعادية للإسلام .

فنحن في أمسّ حاجة اليوم إلى أن نقيم نظام الزكاة ، وفق التوجيهات الإسلامية ، حذو النعل بالنعل ، و نقوم بإعانة المسلمين البائسين المحتاجين ، ونقضي على إفلاسهم ، ونصلح أودهم الاقتصادي .

وما يزيد الطين بلّة هو أن النظام الإسلامي المالي ، ونظام توزيع الزكاة ، والأموال يتعرض الآن لعدم التطبيق العملي في البلاد الإسلامية أيضاً ، و هذا هو السبب في فقدان الإتزان الاقتصادي في الأمور المعاشية في المجتمعات الإسلامية .

والحل الوحيد للقضاء على هذه الأزمة ، هو إقامة النظام المالي للإسلام ، وتطبيقه وإحياؤه وإعادته عملياً، وملاحظة شرط "التمليك" حتماً، فإنه يتكفل بصرف الزكاة في المصارف المحتاجة ، وإبقاء نفعها كاملاً .

أما عدم ملاحظة هذا الشرط "للتمليك" فسوف يؤدي إلى الخسائر الفادحة بسبب توزيع الزكاة في عدة أعمال تنوط بالدين ، والرفاهية ، والمصلحة ، لأن الفقراء المعدمين ، إذاً يُحْرَمون الزكاة ، وربما يقعون في ورطات الضلال ، ويبتعدون عن جوهر الإيمان ، وهذا فوات غاية كبرى لمشروعية الزكاة ، وضرب على روح الزكاة في الإسلام ، و هذا ما لا مبرّر له ، لا شرعاً ولا عقلاً .

[والله أعلم بالصواب]

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الشعور يحدد المواقف

الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

يتحدّد موقف الإنسان إزاء الأحداث في حياته ، وفي حياة غيره بشعوره و تصوره و نظرته إلى من تصدر منه هذه الأحداث أو يكون العامل فيها ، فيكون موقفه موجهاً و مسيراً بهذا التصور، ويتضح ذلك بتوجيه كل ما يحدث من عمل من المسلمين في العالم ، وما يحدث في العالم الإسلامي ، فلا يشرح هذا العمل إلا من زاوية العداء ، ويعرض كل حادث عرضاً يستفز الرأي العام ، ويثيره .

وبهذه الزاوية الخاصة ، تختلف المواقف إزاء الأحداث فيما يتعلق بالمسلمين ، و الأحداث التي تتعلق بهم ، وقد يكون ذلك جزءاً من الاستراتيجية العالمية لتحويل الانتباه من المآسي الإنسانية التي تقع في أنحاء أخرى في العالم ، ويكون المنكوبون فيها المسلمون ، وفي ستار هذه الدعاية المكثفة تواصل الحكومات المعادية للإسلام والمسلمين حملتها الشعواء لهدم كل ماله صلة بالوجود الإسلامي .

لقد كان هدم بعض التماثيل لبوذا في أفغانستان في منطقة منعزلة لا تأتي في قائمة الآثارالعالمية ، قضية عالمية نالت اهتمام قادة العالم من أمريكا إلى الهند ، حكومات وشعوباً ، فقامت الدنيا و قعدت كأن كارثة تهدد العالم وخرجت مسيرات ، وانعقدت اجتماعات للاحتجاج على هذا الإجراء الذي استنكرته بعض الدوائر الإسلامية ، وصدرت بيانات لعدد من الزعماء المسلمين ، ولكن غضب المحتجين لم يهدأ ، بل قاموا بتهديد أفغانستان بالغزو العسكري ، ثم هدم المقدسات الإسلامية ، وعرضوا هذا الإجراء كدليل على تعسف المسلمين بالنسبة لمقدسات غيرهم ، وحدثت كرد فعل لذلك اضطرابات في بعض المناطق .

وتحركت المنظمات العالمية رغم عدم اعترافها بالحكومة في أفغانستان من كل جهة ، وعرضت الدول المحبة للبوذية كاليابان معونات لانقاذ هذه التماثيل ، و صيانتها ، و شغلت هذه المسألة السكرتير العام للأمم المتحدة ، و صرف إلى القضية كل اهتمامه ، فكانت هذه التماثيل الحجرية أعلى قيمة وأهمية من الآلاف من المصابين بالمرض ، والجوع ، والمتضررين بالحرب الذين يقضون حياتهم تحت السماء ، ولم يلتفت الضمير الإنساني إلى هذه المعاناة البشرية ، وفي نفس الفترة كانت مخططات اليهود تستمر لهدم المسجد الأقصى ، وكان الحاخامات يهددون بإبادة العرب ، واستمر إنشاء المستوطنات للإحاطة بالأقصى ، و إصرار القادة اليهود على دخول اليهود في الأقصى ، و لم يتحرك الضمير الإنساني الحر لادانة هذه التحركات ، ولا لتخفيف معاناة الشعب الفلسطيني ، و لا لمنع تدمير بيوتهم من القصف بالصواريخ ، وقتل الأطفال والنساء ، و لم تشكل هذه الأحداث خطراً ، ولا إرهاباً، ولا وحشيةً ، بل استمرت كثير من الدول في ملاطفة إسرائيل ، واستمرت زيارات زعمائها لها ، وتعزيز التعاون معها كانت فيها الدول الإسلامية .

وأسوأ من ذلك أن منظمة الصليب الأحمر العالمية عند ما وصفت إقامة المستوطنات في أرض العرب عملاً حربياً ، أسرعت الجهات التي تموّلها إلى التهديد بوقف المعونة المالية لها ، فأعلنت منظمة الصليب الأحمر أنها سوف لا تستخدم هذا التعبير ، ولكنها لم تقل ما هو الوصف الجديد لهذا الإجراء ، فهل تصبح إقامة المستوطنات عملاً سلمياً بهذا التهديد .

وأخيراً ؛ وليس آخراً ، نقلت الصحف أن حكومة الطالبان قد أصدرت قانوناً يجبر الهندوس على أن يلبسوا الملابس الصفراء ، ليتميزوا عن المسلمين ، وأن يضعوا على بيوتهم علماً أصفر ، لتمييز هذه البيوت عن بيوت المسلمين ، فثارت ضجة في العالم ، وأصدر عدد من الزعماء في الهند ودول أخرى بيانات في إدانة هذا الإجراء ، لأنه إجراء تمييز ديني ، و يمكن أن يكون تأثير سلبي على وضع المسلمين في الدول التي يعيشون فيها

كأقلية ، و وصف بعض الكتاب أنه إجراء لا مثيل له في التاريخ الإسلامي ، وضمت الولايات المتحدة الأمريكية ، والمنظمات العالمية أصواتها إلى أصوات الاحتجاج ، و وصفت هذا القانون بالتمييز العنصري ، وبمعاداة الأقلية ، و في وسط هذا الضجيج ، جاء بيان من رجال الأقلية غير الإسلامية أن هذا القانون يخدم مصالحهم لأن المسئولين عن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كانوا يضايقونهم و يجبرونهم على الصلاة ، و أوضحت الحكومة الأفغانية أيضاً أن هذا الإجراء اتخذ لوقاية الهندوس من إجبارهم على الخضوع لأوامر المسئولين عن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

و لكن الاحتجاج العالمي لم ينته واستمرت البيانات ، و واصلت الصحف التعليق على هذا الإجراء الذي وصفته بأن عمل غير حضاري ، ويخالف المساواة ، ويشكل التمييز الديني ، ولكن مثل هذا التمييز يمارس بأشكال مختلفة في الدول الأخرى ، ولا يشعر به الضمير الإنساني .

يجرى هذا التمييز في الدول الإسلامية الكبرى حيث تفرض القوانين المعادية للإسلام ، و يفصل الإسلاميون عن تيار الحياة ، و يعتبر انتماؤهم إلى الإسلام خطراً للبلاد ، وتفرض القيود على رواد المساجد ، والمدارس الدينية ، وارتداء الملابس الإسلامية ، وتجبر الفتاة المسلمة على نزع الحجاب ، وتمنع من دخول البرلمان رغم فوزها في الانتخاب ، ويمنع المرشحون باتجاه إسلامي من خوض معركة الانتخاب .

ولهذا التمييز الذي لا تبالي به القيادات السياسية في العالم التي تتزعم حرية الإنسان ، وحرية الديانات ، وحرية العبادة ، أمثلة كثيرة من الدول التي تقوم بينها صداقة ، و تزامل ، ونقدم مثالاً من أوزبكستان : فجاء في تقرير نشرته العالم الإسلامي الصادرة من مكة المكرمة .

كشفت السلطات الأوزبكستانية عن حملتها القمعية ضد القوى الإسلامية حيث زجت بعشرات الآلاف إلى السجون ، بينهم نساء ، و تقوم بتعذيبهم على الرغم من نداءات المنظمات الحقوقية الدولية .

وجاء في نبأ أن الرئيس كريموف ، يواصل اغلاق المساجد ، و المدارس الإسلامية ، بدعوى محاربة المتطرفين ، كما يشدد على منع الأذان بمكبرات الصوت ، إضافة إلى حظر ارتداء الحجاب في دور العلم ومؤسسات الدولة ، وتحريم إطلاق اللحية ، وطبقاً للتقرير أغلقت السلطات الأوزبكية حتى الآن ٢٤٠٠/مسجد من بين ٥/آلاف ، و حولت معظمها إلى متاحف ومقاه ، ومكتبات ، كما أغلقت ٣٥/مدرسة إسلامية .

ومن هذه الأمثلة للانحياز الإعلامي ، والسياسي ، خبر عن احتجاج أعضاء حزب "شيوسينا" في الهند ضد شركة "ماكدونالدز" بتهمة أن البطاطس المقلية التي تباع في مطاعمها في الهند تشتمل على لحم البقر أو من لحوم أخرى ، و تظاهر عدد كبير من مؤيدي حزب "شيوسينا" ، أمام المركز الرئيسي لماكدونالد في دلهي ، وطالبوا الحكومة باتخاذ إجراءات لتحقيق مطالبهم .

ومر هذا الاحتجاج ، ولم يعتبر ذلك تطرفاً ولا إرهاباً ، ولا خرقاً للقانون ، ولا رجعية ، و لكن لو كان المسلمون قاموا بمظاهرة على استعمال أي مادة غذائية على لحم الخنزير ، أو شئ محرم شرعياً أو إساءة إلى الإسلام ، وذات الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، لانهالت عليهم التهم بالرجعية ، ومخالفة الحضارة ، والتطرف والتزمت ، وكان ذلك موضوع الصحف ، ولاسرع الزعماء السياسيون إلى استنكار ذلك التحرك ، ولاتخذوا إجراءات قاسية ضد المتظاهرين ، وحدث ذلك عند ما احتج المسلمون على رسم نشر في مجلة "تائمس" أخيراً .

ونشرت صحيفة "تائمس آف إنديا" أن اجتماعاً لوشو هندو بريشد ، انعقد في مدينة لكناؤ في ٢٧/مايو ، ألقى فيها الزعماء خطباً مثيرة هددوا فيها بأنهم سيشيدون المعبد في مكان المسجد البابري ، ولا يبالون بما يحدث نتيجة لذلك ، وقال أحد المتحدثين : إنهم يحصلون على الأسلحة ، وسينقلون كفاحهم إلى الشوارع ، وتنشر الصحف بيانات المتطرفين في تهديد الأقليات ، وتحديد حرياتها الدينية ، في عدة دول في آسيا وأوربا ،

ولا تثير هذه البيانات ، أي رد فعل من الإعلام ولا الحكومات .

يحتج غير المسلمين على مقال أو مادة تسيئ إلى معتقداتهم الدينية ، ويقومون بإحراق نسخ الصحيفة أو الكتاب ، أو الفلم ، فتسرع الحكومات إلى الاستجابة لمطالبهم ، وتتخذ الإجراء لسحب ما نشر أو صور ، ويقدم من يرتكب هذا الاعتداء القلمي أو الفني للمحاكمة ، لأن الاعتداء على مشاعر أي طبقة من طبقات الشعب يشكل مخالفة للقانون ، وقد سحبت عدة أفلام أو كتابات تسيئ إلى السامية ، أو اليهود ، والطوائف الأخرى .

وفي الغرب يعرض الاتفاق أو وقت التحيز بالعبرية الذي يدور حول مفاجأة تفجير قبة الصخرة في القدس ، وقد كتبت صحيفة "نيويورك تائمس" على صفحتها الأولى ، كما نشرت أخبار العالم الإسلامي ، الصادرة من مكة المكرمة ، عن الحفاوة التي لقيها الفلم في مهرجان الفلم الدولي .

و قد أراد مخرج الفلم أن ينال فلمه جائزة عالمية ، و لا يحتاج ذلك إلى مجهود كبير ، فكل عمل يجرح مشاعر المسلمين ينال جائزة ، ويصبح صاحبه بطلاً من الأبطال ، ومن أصحاب الفن ، وينال الاعتراف العالمي ، ولا ينال هذا الاعتراف من أصحاب الفن ، بل من الساسة والقادة في الدول الكبرى ، لأن ذلك العمل يعبر عن مشاعرهم .

إن تشجيع ومكافأة رجال الفن ، والعلم ، والفكر ، والخدمات الإنسانية ، وفرص العمل ، وعدم التشجيع في العالم يقوم على أساس هذا الشعور ولذلك لا تجد الكتب والبحوث ، والأعمال الفنية ،والروائع الأدبية بأقلام المسلمين مكانتها في المنابر الدولية إلا إذا كان فيها قدح للإسلام أو المجتمع الإسلامي ، ولو قيل : لما كان من المغالاة ، إن المسلمين في العالم يواجهون التمييز العنصري بأبشع نوع من الأنواع ، وهذا الموقف المعاند ، هو من الأسباب الرئيسية لتخلفهم ، وانفعالهم ، وعدم ظهورهم على المسرح العالمي .

***

إصدارات حديثة :

١- أمة وسط

قلم التحرير (س.أ)

معهد الدراسات الموضوعة للهند .... أنشأه الدكتور محمد منظور عالم في عام ١٩٨٦م في مدينة دلهي ، وتوخى من خلاله إجراء البحوث والدراسات التحقيقية في شتى مجالات العلم ، تحقيقاً للمشاريع العلمية والدينية ، والحضارية والإنسانية ، ومن بين ذلك مشروع موسوعة المصطلحات الإسلامية ، وقد بلغ عدد ما اختاره قسم هذه الموسوعة في معهد الدراسات الموضوعية إلى مائة وخمسين مصطلحاً ، تم جمع أربع وأربعين منها .

وقد كانت باكورة هذا المشروع ، وأول سلسلة لهذه الموسوعة كتاب "أمة وسط" الذي أشرف على تدوينه وجمعه فضيلة الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي ، الأمين العام لمجمع الفقه (الهند) ، وأعد هذه الموسوعة الأستاذ خالد حسين ذاكر الندوي ، وقدم للكتاب الدكتور محمد منظور عالم ، رئيس معهد الدراسات الموضوعية .

إنه استطاع بما بذله من مجهودات ضخمة في إخراج هذه الموسوعة تحقيق كلمة الأمة والوسط من خلال المعاجم العربية ، وكتب التفاسير المتداولة ، ومن دواوين الأحاديث وشروحها، ومن أقوال العلماء الأصوليين ، حتى جاء هذا الكتاب الموسوعي كمرجع كبير لهذا المصطلح القرآني ، ويواكب الأعمال الموسوعية العلمية ، والبحوث التحقيقية التي أصبحت ميزة هذا العصر المتطور في المجالات العلمية والحضارية .

إن صدور هذه الموسوعة في الوقت الحاضر يسدّ حاجة العقول المتعطشة إلى الإسلام ، وينير سبيل التفهم للإسلام ومحاسنه ، وما أودع الله سبحانه وتعالى فيه من ميزة الخلود والمسايرة مع الحياة ، وتوجيه الإنسان إلى وظيفته الأولى التي خلق من أجلها .

لا جرم أن تفسير المصطلحات الإسلامية التي وردت في الكتاب والسنة من أهم المسئوليات التي تعود على طبقة العلماء ، وأصحاب العلم ، والفقه ، والبصيرة ، بوجه خاص ، وإن هذا العمل يفتح الباب أمام الجميع للدخول في أوسع المجالات مما يتميز به الإسلام ، وينسجم مع فطرة الله .

ومن ثم فإننا نبارك هذه الخطوة الموسوعية التي خطاها معهد الدراسات الموضوعية ضمن برامجه العلمية والتحقيقية ، ونرجو من الله التوفيق والقبول .

٢- لبيك اللهمّ لبيك

هذا الكتاب الذي ألفه فضيلة الشيخ المرحوم محمد الثاني الحسني الندوي ، إنما هو بمثابة رحلة الحج التي قام بها المؤلف رحمه الله ، في عام ١٩٤٧م كمرافق لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى .

تحدث فيه المؤلف الراحل عن انطباعاته في هذه الرحلة المباركة ، وعواطفه الجياشة التي عاشها طوال المدة التي قضاها في الربوع المباركة ، يتجسد فيه للقارئ الكريم جميع المشاهد والمشاعر والشعائر بصورة عملية حية ، لأنه ينقله من عالم مادي إلى عالم روحاني شفاف ، حيث يتصل المرء برباط من الحب والشوق ، والتطلع إلى الحبيب ، وينشد بلسان حاله ومقاله :

و ليتك تحلو و الحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب

قدم للكتاب سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي (حفظه الله) بقلمه الرشيق ، وبكلمته البليغة ، وحلى جيدة بجواهر أدبه الرفيع ، كما أن الشيخ محمد حمزة الحسني الندوي نجل المؤلف المرحوم ، كتب كلمة تعريفية لهذا الكتاب ، وأشاد بهذه الروح الإيمانية التي تشمل جميع جوانبه ، وتثير عواطف الشوق والحب في قرائه.

★ ★ ★

إلى رحمة الله تعالى :

الشيخ ولي أعظم الندوي

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ)

استأثرت رحمة الله تعالى بالأخ الفاضل الشيخ ولي أعظم الندوي في ليلة ٢/من ربيع الأول ١٤٢٢هـ (المصادف ٢٦/مايو ٢٠٠١م) بعد معاناة من مرض عضال كان بشكل سرطان في الدماغ ، ورغم معالجات ، وعملية جراحية ، لم يكتب له البرء

الكامل ، حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الفقيد الراحل من خيار الأخوة ، وخريجي الندوة ، عمل في دار العلوم مدرساً لحين ، ثم انقطع عن التدريس ، واتصل بعمل الدعوة ، وبعض المشاريع الخيرية ، لمجرد ابتغاء وجه الله ، وقد اختار أن يسكن في حجرة المسجد الذي كان يتولى الإمامة فيه ، وكانت علاقته بكل طبقة من المسلمين وطيدة ، فكان لا يدخر وسعاً في التعاون مع الناس ، و مساعدتهم في المناسبات ، فكان محبباً لديهم ، و محترماً في أوساط العلماء والجماهير على السواء ، وقد أكرمه الله تعالى بالخلق الحسن ، وصفة التواضع ، والتوكل والاحتساب .

خلف وراءة أسرة مؤلفة من زوجة وأولاد ، وجماعة من تلاميذه والمعجبين به ، صلى عليه سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، خلف سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، في جمع حاشد من طلبة العلم والعلماء ، ودفن في مقبرة "عيش باغ" في لكناؤ .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوة ، فإنه سميع مجيب الدعوات .

الشيخ الأستاذ قطب الله الندوي

في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة الشيخ قطب الله الندوي فجاءة ، يوم ٣/من شهر ربيع الأول ١٤٢٢هـ (٢٠٠١/٥/٢٧م) في مديرية سدهارت ناغر في شمالي الهند ، حيث كان المرحوم أستاذاً في مدرسة خديجة الكبرى للبنات ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من أبناء دار العلوم ندوة العلماء القدامى ممن تخرجوا في الخمسينيات ، من كلية اللغة العربية وآدابها ، وكان يتمتع بكفاءة علمية جيدة ، فعمل كمدرس للعلوم الإسلامية طوال حياته ، فتخرج عليه جيل من العلماء والأساتذة ، و كان ذا مكانة مرموقة لدى الأوساط العلمية ، والدينية في البلاد وخلف جماعة من تلاميذه وإخوانه المعجبين به .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وصفح عن زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه على مجهوداته التي بذلها في سبيل العلم والدين أحسن جزاء ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء
ص.ب. ٩٣، لكناؤ (الهند)
هاتف : ٧٨٨١٦٦_٧٨٧٢٥٠
رقم الفاكس : ٠٠٩١_٥٢٢_٧٨٧٣١٠

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P.O.Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0091-522-787310

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/عاماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :
مكتب **"البعث الإسلامي"**
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص.ب٩٣ - **مؤسسة الصحافة والنشر**
ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)